أجاثا كريستي



المكتبة الثقافية

بيروت لبنان

ساعة الصفر

أجاثا كريستي

ساعة الصفر

المكتبة الثقافية
بيروت - لبنان

الفصل الاول

كانت الجماعة التي جلست أمـــام المدفأة كلهـــا تقريباً من رجال القضاء والقانون .

كان هناك مارتنديل المحامي ورافاس لورد وكيل النائب العـام ، ودانيز المحامي الشاب الذي برز اسمه في قضية كارستير ، والقاضي كليفر والمحـــامي لويس أحد صاحبي مكتب لويس وترنش المحاميين ، ومستر تريفز العجوز الذي ناهز الثمانين .

وكان تريفز هو أبرز عضو في مكتب كبير للمحامين ، واشتهر بأنه حسم كثيراً من القضايا الدقيقة خـــارج المحكمة وبأنه من أكبر الاخصـــائيين في عالم الجريمة ، وعلى الرغم من انه اعتزل العمل منذ مدة طويلة ، فـــانه لم يكن في انجلترا كلها رجل يحترم رجال القضاء والقانون آراءه كما يحترمون رأيه .. كان اذا تكلم صمتت جميع الأصوات ، وأرهفت كل الآذان .

* * *

وكان حديث الجماعة التي جلست أمام المدفأة في ذلك المساء يدور حول قضية

قتل كثر فيهااللغط في الأيام الأخيرة وفرغت محكمة جنايات(أولد بابلي) فيذلك اليوم من نظرها ، وأصدرت فيها حكماً ببراءة المتهم . فتناولت الجماعة القضية بالتحليل والتعقيب والنقد الفني ، واتفقت الآراء على ان الأدعاء أخطأ حين اعتمد كل الاعتماد على شاهد واحد. فهيأ بذلك للدفـاع فرصة أكبر ، وان الدفاع عرف كيف يستغل شهادة الخادمة . وان القاضي بنتمور لخص وقائع القضية تلخيصاً لا غبار عليه . ولكن الضرر كان قد حدث فعـــلا .. فان المحلفين كانوا مقتنعين بصدق الخادمة ومتى اقتنع المحلفون بأمر تعذر تحويلهم عنه ...

أما شهـــادة الطب الشرعي فكانت كالعـادة مجموعة من الألفاظ الغريبة والعبارات المعقدة . لان الأطبـاء الشرعيين لا يجيبون على الأسئلة أبداً بكلمة (نعم) أو (لا) وانما يضيفون عبارات من شأنها ان تبلبل المستمع. مثل قولهم :

« . هذا يمكن حدوثه في ظروف معينة »

أو قولهم :

« هذا جائز لو اننا راعينا كذا » .

وهدأت المناقشة شيئاً فشيئاً ، وخفتت الأصوات ، وأحسوا جميعاً في لحظة ما بان هناك صوتاً لم يسمعوه ، وبدأت الأنظـار تتجه نحو مستر تريفز .. ولم يكن هذا قد اشترك في الحوار ، فبات واضحاً ان الجماعة تنتظر الكلمة الحاسمة الأخيرة من فم أبرز أعضائها وأصوبهم رأياً .

وكان مستر تريفز يمسح نظارته وهو شارد الذهن حين تنبه الى صمتهم فنظر اليهم بحدة وقال :

– ماذا قلتم ؟ هل وجهتم إلي سؤالاً؟.

– كنا نتحدث عن قضية لامورن يا سيدي .

ـ آه . نعم . نعم وأنا كنت أفكر في هذه القضية أيضاً .

فصمتوا جميعاً وارهفوا آذانهم ، فقـال تريفز وهو لا يزال يمسح زجـاج عويناته :

ـ ولكن افكاري جنحت الى الخيال .. ولعل السبب انني تقدمت في السن .. ان من حق الأنسان في مثل سني ان يجنح الى الخيال احياناً .

فارتسمت الحيرة على وجه المحامي لويس ولكنه قال :

ـ طبعاً .. طبعاً يا سيدي .

فقال تريفز :

ـ لقد كنت أفكر في القضية .. لا من حيث وجهـات النظر القانونية التي أثيرت فيها ، وهي وجهات نظر جديرة بالاهتمام ، ولو قد صدر حكم مختلف ، لكانت هناك أسباب قوية تجيز استئنافه .. وانما كنت أفكر فيهـا من حيث الأشخاص الذين لعبوا دوراً فيها .

فبدت الدهشة على وجوه المستمعين . ذلك ان أحداً منهم لم يفكر في هؤلاء الأشخاص الا من حيث صدقهم او كذبهم كشهود .. ولم يجرؤ أحدهم على التفكير في المتهم .. وهل هو بريء حقاً كما قالت المحكمة او أنه مذنب .

ومضى تريفز يقول :

ـ كنت أفكر في الآدميين باحجـامهم المختلفة ، واشكالهم المتبـاينة ، وعقلياتهم المتنافرة .. لقد جـاؤا من كل مكان . من لانكشـاير .. ومن اسكتلندا .. وجاء صاحب المطعم من ايطـاليا ، وجـاءت غرب انكلترا . وانصهروا جميعاً في بوتقة الأحداث .. وجيء بهم جميعاً في النهـاية الى محكمة الجنايات في لندن . في يوم أغبر من أيام شهر نوفمبر .

لقد قام كل منهم بدوره الصغير . ثم اتخذت هذه الأدوار جميعاً في النهـاية صورة قضية أمام محكمة الجنايات .

وصمت قليلاً ، وأخذ يدق ركبته بأنامله ثم استطرد قائلاً :

– انني أحب القصة البوليسية الجيدة . ولكن القصص جميعاً تبدأ بداية خاطئة .. انها تبدأ بجريمة القتل . في حين ان جريمة القتل هي النهاية .. أما بداية القصة فأنها قبل ذلك بكثير .. حين تتهيأ الأسباب وتبدأ الأحداث التي تسوق اناساً معينين .. الى مكان معين في ساعة معينة من يوم معين .

اليكم مثلاً شهادة الخادمة في قضية اليوم ، لو لم تخطف الطاهية عشيقها لما تركت عملها الأول لتلتحق بخدمة اسرة لامورن وتصبح شاهدة النفي الرئيسية في القضية .

وذلك الخادم المدعو جوزيبي انطونيللي . لقد جاء من ايطاليا خصيصاً ليعمل مكان أخيه حتى ينعم أخوه باجازة قصيرة .

وقد كان الأخ ضعيف البصر ، فلو لم يحصل على اجازته لما رأى ما رآه جوزيبي انطونيللي خلال الفترة القصيرة التي قضاها في خدمة الأسرة ..

ولو لم يشغل الشرطي بمغازلة الطاهية بالمنزل رقم ٤٨ لما غاب عن دركه ساعة وقوع الجريمة ..

كل هذه الأحداث الصغيرة . التي بدأها أشخاص مختلفون ، في اماكن مختلفة وأوقات مختلفة .. قد تصاعدت وتبلورت ، وانتهت الى ما اسميه (ساعة الصفر) .

وفي هذه اللحظة ، مرت بجسده رعدة سريعة فقال قائل :

– هل تشعر بالبرد يا مستر تريفز ؟

– كلا .. كلا .. يبدو ان أحدهم مشى فوق قبري كما يقولون . على كل حال أظن ان الوقت قد حان لكي أعود الى بيتي .

وأومأ برأسه تحية للجميع وغادر الغرفة وهو يمشي بخطى بطيئة .

* * *

ومرت فترة صمت طويلة قبل ان يقول رافاس لورد وهو يهز رأسه :

– مسكين مستر تريفز .. لقد أوهنته الشيخوخة .

فقال القاضي السير ويليم كليفر

– أنه رجل ذو عقل جبار .

فقال لورد

– أعتقد أنه يعاني مرضاً في القلب ، وقد يسقط ميتاً في أية لحظة .

فقال لويس

– انه يعني بنفسه أشد العناية

* * *

وفي هذه الأثناء كان مستر تريفز يستقل سيارة فخمة ، ذهبت به الى بيت في حي هاديء .. وهناك خف كبير الخدم لمساعدته على خلع معطفه .. وسار تريفز بعد ذلك الى غرفة المكتبة . حيث كانت النار تتلظى في المدفأة ..

وكان فراش تريفز يحتل ركناً في قاعة المكتبة ، فقد حرص الرجل على الا يرقى السلم الى الطابق الأول نظراً لحالته الصحية .

وجلس الرجل أمام المدفأة وشرع في قراءة الرسائل التي وردت اليه في ذلك اليوم .

وكان فكره لا يزال مشغولاً بالنظرية التي أدلى بها في قاعة النادي .

فقال لنفسه

– من يدري . لعل هناك الآن مأساة .. او جريمة قتل في مرحلة الاعداد . لو انني الآن بسبيل كتابة قصة بوليسية لبدأتها برجل متقدم في السن .. يقرأ رسائله أمام مدفأة ويتجه دون ان يدري - نحو ساعة الصفر .

وفض احدى الرسائل .. وألقى نظرة سريعة على مضمونهـا ، ويبدو أنه وجد فيها ما رده من عالم الخيال الى دنيـــا الحقيقة ، فقد تقلص وجهه فجأة وقال :

– هذا أمر مزعج حقاً !. أيحدث ذلك بعد كل هذه السنين ؟. لقد قلبت مشروعاتي رأساً على عقب ..

الفصل الثاني

ابطال المأساة

١١ يناير

تحرك الرجل في فراشه بالمستشفى وكتم انه توجع، كادت ان تفلت من فمه .

ونهضت الممرضة المشرفة على عنبر المرضى من مقعدها ، واقتربت من فراش الرجل وأعادت تنظيم وسائده ، وحركت جسد الرجل ليستقر في وضع مريح

وغتم الرجل بكلمة غير واضحة على سبيل الشكر .

كان يشعر بمزيد من الغضب والمرارة . ويلعن في سره تلك الشجرة العجيبة التي نمت تحت الربوة فلم يفطن الى وجودها ، ولعن أولئك العشاق المغفلين الذين يتحدون البرد والصقيع لينعموا بالخلوة فوق ربوة تطل على البحر .

لولا تلك الشجرة اللعينة وأولئك العشاق الحمقى لانتهى كل شيء .

لم يكن الأمر سيكلفه أكثر من قفزة الى الماء المثلج العميق ومقاومة وجيزة .. ثم تأتي الغيبوبة ، وتنتهي حياة عقيمة لا معنى لها ولا هدف ، ولا قيمة ..

والآن . اين هو ؟.

انه طريح الفراش في مستشفى ومصاب بكسر في أحد ضلوعه . ومن المحتمل جداً ان يقدم للمحاكمة بتهمة محاولة الانتحار .

قبحهم الله !. انها حياته هو .. أليس كذلك ؟.

ولو قد نجحت محاولتـــه .. لواروه التراب بكل الاجلال والاحترام ، باعتباره انساناً بائساً فقد عقله ..

فقد عقله حقاً !.

انه لم يكن في وقت ما أعقـل مما كان حين ألقى بنفسه من فوق الربوة لتتلقفه تلك الشجرة اللعينة وتكسر ضلعه .

وأقدامه على الانتحار كان الشيء الوحيد المعقول الذي يجب أن يفعله رجل في مثل مركزه . رجل اعتلّت صحته وهجرته زوجتـــه ، وفقد عمله وأصبح بلا مال او صحة او أمل .

والآن .. ها هو في موقف يبعث على السخرية .. وسوف ينحي عليه القاضي باللائمة لانه فعل الشيء الوحيد المعقول بحياته التي هي ملك خاص له وحده .

وأفلتت من فمه أنة عميقة فأسرعت اليه الممرضة مرة أخرى ..

كانت في مقتبل العمر ، ذات شعر أحمر ووجه لا يعبر عن شيء .

سألته :

– هل تتألم كثيراً يا مستر ماكويرتر ؟.

– كلا .

– سأعطيك عقاراً منوماً .

– كلا .. لا تفعلي .

– ولكن .

– أتظنين انني لا أستطيع احتمال بعض الألم والأرق ؟.

فارتسمت على شفتيها ابتسامة رقيقة وقالت :

– لقد سمح الطبيب بان تتناول عقاراً منوماً .

– لا يهمني الطبيب وما يسمح به .

فنظمت الممرضة الأغطيـة ووضعت كوباً من عصير الليمون على المائدة الصغيرة بجوار الفراش ، فقال وقد أحس بالخجل من خشونته :

– آسف .. فقد كنت فظاً .

– لا عليك .

وضايقه أنها لم تعبأ قليلاً او كثيراً بخشونته ونوبات غضبه .. وغاب عنه انها كممرضة ، ترى من واجبها أن تنأى بنفسها عن مثل هذه الانفعـالات .. وانها تعامله كمريض .. لا كرجل .

واستطردت قائلة :

– لا عليك .. ستكون في حالة أفضل غداً صباحاً ..

فصاح :

– تباً لكنّ أيتها الممرضات .. أنكنّ مجردات من كل شعور انساني .

– نحن أعرف منك بمصلحتك ..

– ما يغيظني منكنّ .. ومن المستشفى .. ومن الدنيا كلها .. هو التدخل المستمر في شؤون الغير .. بدعوى انكنّ تعرفن مصلحتهم اكثر منهم ؟.

انني حاولت الانتحار .. هل تعلمين ذلك ؟.

– نعم .

– ولا شأن لأحد بي سواء ألقيت بنفسي من فوق ربوة أو تحت قطار .. أن صلتي بالحياة قد انتهت تماماً ..

فقلبت شفتها ولم تجب .

صاح : – لماذا لا أستطيع ان أقتل نفسي متى شئت ؟.

– لأن ذلك خطأ .

– لماذا ؟.

فنظرت اليه في ارتياب ، ولم تجد ما تعبر به عن شعورها ولكنها قالت ببساطة :

– على الانسان أن يعيش سواء أراد أو لم يرد
– وماذا يحملك أنت تعيشين ؟.
– لعلك هناك من هو بحاجة الي ..
– انني أختلف عنك في ذلك. فليس في الدنيا كلها شخص واحد يهمه ان أعيش أو ان اموت .
– أليس لك أقارب ؟. أليس لك أم أو اخت ؟.
– كلا .. كانت لي زوجة هجرتني .. وبحق .. وجدت انني إنسان تافه لا فائدة منه .
– ولكن من المؤكد أن لك أصدقاء ؟.

– لست الرجل الذي يأنس اليه الاصدقاء .. اصغي الى ايتها المرضة ، سأروي لك قصة ، انني كنت رجلاً سعيداً في وقت ما ، كانت لي وظيفة طيبة ، وزوجة جميلة . وذات يوم وقع حادث سيارة .. كان صاحب العمل يقود السيارة ، وكنت راكباً فيها معه . فطلب مني أن اشهد بأنه كان يقود السيارة بسرعة أقل من ثلاثين كيلو متراً عندما وقع الحادث .. والحقيقة انه كان يقود بسرعة تزيد على خمسين كيلو متراً .. ولم يسفر الحادث عن مقتل أحد ، ولكنه أراد أن يكون موقفه سليماً أمام شركة التأمين .. غير انني رفضت أن اشهد بما أراد ، رفضت أن اكذب ، لأنني أمقت الكذب .

– أظن أنك كنت على حق .

– أتظنين ذلك ؟ ولكن ما قولك في ان أصراري على الحق افقدني وظيفتي ! لقد حنق على صاحب العمل ففصلني وبذل قصارى جهده ونفوذه لكيلا أحصل على عمل آخر .. وضاقت زوجتي ذرعاً بتعطلي فهربت مع رجل من اصدقائي كان يشغل وظيفة طيبة وينتظره مستقبل باهر . بينما كنت أنا أتدهور باستمرار ، فادمنت الخمر ، وأضعت بذلك كل فرص العمل ، وانتابتني الأمراض ، وقال الطبيب انني لن استرد صحتي ، فلم أجد بعد ذلك ما أعيش

من أجله ، وكان أبسط حل وأيسره ، أن التخلص من حياة لا جدوى منهـــا لأحد .

فغمضت الممرضة قائلة :

– من أدراك !.

فضحك .. أضحكه عنادها الساذج .

قال لها :

– يا بنيتي العزيزة .. ما فائدتي الآن لأي انسان ؟.

فأجابت بشيء من الارتباك :

– من أدراك ؟. قد تفيد أحداً يوماً ما ..

– يوماً ما ؟.. لن يكون هناك يوم ما .. وفي المرة القادمة سأكون حريصاً على ألا أفشل .

– في المرة القادمة ؟.. كلا انك لن تقدم على الانتحار مرة اخرى .

– ولم ؟..

لأن الناس قلما يقدمون على الانتحار مرتين ..

فهم بان يحتج ، ولكن أمانته الفطرية منعته من الكلام . وراح يتساءل.. هل كان في نيته حقاً ان يعيد الكرة ؟..

وشعر فجأة بأنه لن يستطيع .. لغير ما سبب .. او ربما كان السبب مـا قالته الممرضة بحكم خبرتها .. وهو ان النـــاس قلما يقدمون على الانتحار مرتين .

بيد انه أراد أن يرغمها على الاعتراف بحقه في الانتحار من حيث المبدأ .

قال : على كل حال فان من حقي أن افعل بحياتي ما أريد .

قالت : ليس ذلك من حقك .

– ولم أيتها الفتاة العزيزة ؟.

فاحمر وجهها وارتبكت لحظة يسيرة ، ولكنها ما لبثت ان قالت :

– انت لا تفهم .. ان الله قد يريدك لأمر ما .

فبهت ، ولكنه لم يشأ أن يزعزع إيمانها الصبياني وقال ساخراً :

– لعله يريدني على أن امسك يوماً ما بجواد جامح ، فامنعه من ان يسحق طفلاً صغيراً ذهبي الشعر .

– ان وجودك في مكان معين . في وقت معين .. حتى ولو لم تفعل شيئاً .. قد يؤدي ..

وتلعثمت ، وازداد وجهها إحمراراً ، وأردفت :

– لا استطيع التعبير جيداً .. انني اعني ان مجرد وجودك في مكان ما في وقت ما حتى ولو لم تفعل شيئاً قد يكون في ذاته عملاً عظيم الأهمية دون ان تدرك .

١٤ – فبراير :

لم يكن بالغرفة سوى شخص واحد ، وكان الصوت الوحيد المسموع ... هو صوت القلم الذي يكتب به ذلك الشخص على ورقة أمامه ..

ولم يكن هناك من يقرأ الكلمات التي كتبها .. ولو كان هناك من يقرؤها لما صدق عينيه .. لأن ما كتبه ذلك الشخص كان مشروعاً واضحاً مفصلاً لارتكاب جريمة قتل .

* * *

وهناك ظروف يشعر فيها الجسد بأن هناك عقلاً يحكمه ويسيطر على اعماله وحركاته . وظروف أخرى يشعر فيها العقل بسيطرته على الجسد وبقدرته على تسخيره في تنفيذ أغراضه .

وقد كان الشخص الذي نحن بصدده يمر بالحالة الثانية .

كان مجرد عقل جبار له هدف واحد .. هو تدمير انسان آخر ..

ولتحقيق هذا الهدف ، راح ذلك الشخص يضع على الورقة خطـة محكمة مرسومة بعناية ، ومحسوباً فيهـا حساب جميع الاحتمالات الممكنة .. ومحـدداً فيها الزمان والمكان والضحية .

ورفع الشخص رأسه ، وأمسك بالورقة وقرأها بعناية ... وارتسمت على شفتيه ابتسامة شيطانية .. لا يمكن ان تكون ابتسامة انسان عاقل تماماً .

وأعاد الشخص تلاوة الورقة .. واكتشف انه اغفل التاريـخ .. فتناول القلم وكتب تاريخ يوم في شهر سبتمبر .. ثم قهقه ضاحكاً ، ومزق الورقـــة . والقى بأجزائها في الموقد وظل يراقبها حتى احترقت تماماً .

احترقت الورقة .. ولكن الخطة بقيت في عقل صاحبها .

٨ - مارس :

جلس المفتش باتل الى مائدة الافطار وبيده الرسالة التي قدمتها اليه زوجته وهي تبكي .

لم يبد عليه اي انفعال ..

كان وجهه دائماً جامداً لا يعلوه أي تعبير ، وكأنه نحت من خشب .

قالت زوجته وهي تنشج بالبكاء :

ــ لا أستطيع أن اصدق ان سيليفيا تفعل ذلك

كانت سيليفيا أصغر اولادهما الخمسة .. وهي في نحـو السادسة عشرة من عمرها ، وطالبـــة بمدرسة بالقرب من (ميدستون) . وكانت الرسالة من مس أمفري ناظرة المدرسة المذكورة .. وقد كتبت بوضوح وأدب ولباقة ، وجاء فيها انه حدثت بالمدرسة في المدة الأخيرة عدة سرقـات صغيرة حيرت ادارة المدرسة ، ثم اتضحت الأمور أخيراً واعترفت سيليفيا باتل بالسرقة ، وان الناظرة تود مقابلة مستر باتل وزوجته في أقرب فرصة لبحث الموقف .

وطوى المفتش باتل الرسالة ووضعها في جيبه وقال لزوجته :

ـ دعي الأمر لي يا ماري .

ونهض من مكانه ودار حول المائدة ، وربت على كتف زوجتـه واستطرد قائلاً :

ـ لا تنزعجي ايتها العزيزة .. سيكون كل شيء على ما يرام .

* * *

وبعد ظهر يوم ذلك اليوم ، اجتمع المفتش باتل بمس أمفري في مكتبها .

وكانت مس امفري مربية ناجحة ، ذات شخصية قوية ، وثقافـة عصرية واسعة .

قالت للمفتش في معرض الحديث الذي دار بينهما :

ـ المهم هو ان نعالج الموضوع بحكمة . وان نضع نصب أعيننـا مصلحة الفتاة وحدها ، إذ لا يجب ان يتأثر مستقبلها أو حياتهـا بحال ، او ان تشعر في أي وقت بعقدة الذنب ، وإذا وجه اليها لوم أو تعنيف على الأطلاق فيجب ان يكون بلباقة .. وبأقل قدر ممكن .

وينبغي قبل كل شيء ان نعرف حقيقة الأسباب الكامنة وراء هذه السرقات الصغيرة .. قد يكون أحد هذه الأسباب شعورها بمركب نقص ، فانها ليست بارعة في الألعاب الرياضية . ولعلها أحست برغبة خفية في ان تلمع في مجال آخر ..

ولذلك يجب ان نعمل بحذر شديد .. وقد رغبت في مقابلتـك اولاً على انفراد لكي اوصيك بالرفق بها ، واني أكرر ما قلته اولاً ، ان اهم شيء هو التوصل الى معرفة الدوافع الخفية وراء هذه السرقات الصغيرة .

فأجاب الرجل في هدوء ، وهو يقيم ناظرة المدرسة باحدى نظراته الفاحصة :

ـ انني ما جئت إلا لذلك .

ـ لقد عاملتها بكل عطف ورفق .

ـ هذا كرم منك يا سيدتي.. حبذا لو رأيتها الآن إذا لم يكن هناك مانع.

فرافقته الى غرفة صغيرة ، وقالت له انها سترسل اليه ابلته . وعندما همت بمغادرة الغرفة ، استوقفها باتل قائلاً :

ـ لحظة يا سيدتي .. كيف عرفت ان سيلفيا هي المسؤولة عن السرقات ؟.

ـ عرفت ذلك بوسائلي السيكولوجية .

ـ السيكولوجية ؟ ولكن أين الأدلة يا مس أمفري .

ـ انني أعرف ما تعني يا مستر باتل . انك تطلب أدلة بالمعنى المتواضع عليه في مهنتك كشرطي .. ولكن الوسائل السيكولوجية والتحليل النفسي اصبحا شيئاً معترفاً به في علم الجريمة .. واؤكد لك انه لم يحدث أي خطأ . أضف الى ذلك ان سيلفيا اعترفت بكل شيء بمحض ارادتها .

ـ نعم .. نعم .. أعلم ذلك ... انما اردت أن أعرف كيف استدللت عليها ..

ـ عندما تفاقمت حوادث السرقة دعوت الطالبـــات وطرحت عليهن الحقائق .. وتفرست في وجوههن وأنا أفعل ذلك . وفوجئت بالتعبيرات التي ظهرت واضحة على وجه سيلفيا .. كانت تعبيراتها تنم عن الارتباك والاحساس بالذنب فعرفت على الفور انها المذنبة ولكني لم اواجهها بالاتهام وانما اختباراً بسيطاً عن دلالات الألفاظ .

فهز باتل رأسه دلالة على انه لم يفهم . ونظرت اليه مس أمفري وترددت لحظة ثم غادرت الغرفة .

* * *

وعندما فتح باب الغرفة مرة أخرى ، كان باتل يطل من إحدى النوافذ ، فنظر وراءه ببطء وأبصر بابنته ..

كانت طويلة ، سمراء ، وعلى وجهها آثار الدموع قالت في خجل :

– هأنذا يا أبي .

فنظر اليها باتل طويلاً وهو شارد العقل ، ثم تنهد وقال :

ما كان ينبغي أن الحقك بهذه المدرسة .. ان ناظرتها امرأة حمقاء ..

فنسيت الفتاة متاعبها وتملكتها الدهشة وهتفت :

– مس أمفري ؟. انها رائعة .. الجميع يقولون ذلك .

– إذن فهي ليست حمقاء تماماً ، ما دامت قد استطاعت ان تترك في نفوسكن هذا الانطباع .. وعلى كل حال فان هذه المدرسة لا تلائمك .. رغم ان ما حدث لك هنا كان يمكن ان يحدث في اية مدرسة أخرى .

فعقدت الفتاة أصابعها ونكست رأسها وهي تقول :

– أنا آسفة يا أبي .. أنا آسفة حقاً .

– يجب أن تكوني آسفة .. اقتربي مني .

فتقدمت نحوه ببطء ، وأمسك ذقنها بيده الضخمة ، ونظر في وجهها ملياً . ثم قال بلطف :

– انك عانيت الكثير .. أليس كذلك ؟.

فأغرورقت عيناها بالدموع .

قال ببطء :

– كنت أعرف منذ وقت طويل ان بك عيباً .. أكثر الناس لهم مواطن ضعف من نوع ما .. ومواطن ضعف تبدو دائماً واضحة وفي استطاعة الانسان بسهولة أن يعرف الطفل الجشع . او الطفل السيء الطباع . او المشاكس .. ولكنك كنت دائماً طفلة هادئة وديعة دمثة الخلق.. وكان ذلك يهمني ويقلقني، فان صاحب العيب الخفي كثيراً ما يتحطم من أول صدمة .

ـ مثلي .

ـ نعم .. مثلك . فانك تهاويت تحت الضغط بسرعة لم أشهد لها مثيلاً .

فقالت الفتاة فجأة :

ـ أظن انك قابلت كثيراً من اللصوص في حياتك العملية يا أبي ..

ـ نعم .. وأعرف كل شيء عنهم . ولذلك أعتقد عن يقين ، لا كأب فان الآباء لا يعرفون الكثير عن أولادهم - وانما كشرطي ـ انك لست لصة .. وانك لم تسرقي شيئاً من هذه المدرسة .

ان اللصوص على نوعين ، نوع يستسلم للاغراء الفجائي القوي ، ونوع يأخذ ما ليس له بطريقة تلقائيـة .. وأنت لست من هذين النوعين .. انك لست لصة .. ولكنك كذابة من طراز غير عادي .

ـ ولكن ..

ـ انك اعترفت بكل شيء .. أليس كذلك ؟. حسناً ، أصغي إلي .. يحكى أن احدى القديسات تعودت أن تملأ سلتها خبزاً لتوزعه على الفقراء ، ولم يعجب ذلك زوجها ، واتفق انه قابلها في الطريق وسألها عما في سلتها ، ففقدت أعصابها وقالت ان بالسلة زهوراً .. كانت معجزة ا. والآن .. لو انك كنت قديسة وخرجت بسلة من الزهور وقابلك زوجك وسألك عما بالسلة ، فانك ستفقدين أعصابك وتقولين : أن بالسلة خبزاً .

وتريث لحظة ثم قال بلطف :

ـ ذلك ما حدث .. أليس كذلك ؟

فصمتت الفتاة وقتاً طويلاً ثم نكست رأسها .

قال :

ـ أخبريني يا بنية .. ماذا حدث بالضبط ..

- انها دعتنا جميعاً وألقت علينا كلمة ، ولاحظت أنهـا تنظر إلي طول الوقت وأدركت أنها ترتاب فيّ ، وشعرت بحمرة الخجل تصبغ وجهي، ورأيت

بعض الفتيات ينظران الي . ثم راح غيرهن ينظرن الى ويتهامسن .. كان من الواضح انهن جميعاً يعتقدن انني اللصة ..

وفي المساء دعتني مس أمفري مع بعض الفتيات ، وشرعنا في لعبة تعتمد على الألفاظ . كانت تقول عبارة .. ونحن نبحث عن جوابهـا .. وكانت عباراتها جميعاً تهدف الى معنى .. وقد فهمت هـذا المعنى وأصابني نوع من الشلل ، وحاولت ألا أخطيء .. وأن اصرف ذهني عن المعنى الذي تهـدف اليه ، بالتفكير في أشياء أخرى . كالطيور والزهور .. ولكـن مس أمفري كانت تتفرس في وجهي بعينين كعيني الصقر .. ونظراتها تكاد أن تنفـذ الى اعماقي .. وأخذ الموقف يزداد سوءاً لحظة بعد أخرى ..

وفي أحد الأيام دعتني اليها وتحدثت الي برفق شديد. وبأسلوب من يعرف بواطن الأمور . فتداعيت واعترفت بالسرقة .. وأحست بعد الاعتراف كأن عبئاً ثقيلاً قد زال عن صدري .

فهز الرجل رأسه ببطء وقال :

– هكذا ..

– هل فهمت يا أبي ؟

– كلا يا سيلفيا .. لم أفهم .. لأنني من طينة أخرى غير طينتك .. ولو طلب الى أحد أن اعترف بشيء لم أفعله فانني أبادره بكلمة تشوه وجهه .. ولكن لا بأس ، المهم الآن أن نجاوز هذا الموقف القذر .. أين مس أمفري ؟..

* * *

وكانت مس أمفري تتسكع خارج الغرفة ولكن الابتسامـة تلاشت عن شفتيها حين قال لها المفتش باتل بصراحة :

ـ انني أطالبك انصاف لأبنتي أن تستدعي البوليس المحـلي للتحقيق في هذا الموضوع .

ــ ولكن يا مستر باتل . ان سيلفيا نفسها ..

ــ ان سيلفيا لم تمس شيئاً لا يخصها .

ــ انني أفهم شعورك كأب . ولكن ..

ــ انني لا أتكلم كأب ، وإنما أتكلم كشرطي .. اطلبي البوليس لمساعدتك في أماطة اللثام عن المسؤول الحقيقي عن هذه الحوادث . وكوني مطمئنــــة الى كياستهم وكتمانهم ، وأنا واثق من انكم ستجدون الأشياء المفقــودة مخبأة في مكان وما عليها بصمات أصابع المسؤول .. ان صغار اللصوص لا يستخدمــون القفازات ..

أما الآن فانني سأصطحب ابنتي ، وإذا وجد البوليس دليلاً يدينها فانني على استعداد لاقتيادها بنفسي الى المحكمة لتنال جزاءهـــا .. ولكنني مطمئن الى براءتها .

* * *

وبعد نحو خمس دقائق كان يستقبل سيارته ومعه ابنته .

وقبل أن تتحرك السيارة سأل الفتاة :

ــ من الفتاة ذات الشعر الأشقر والعينين الزرقاوين والخدين الموردين الـتي رأيناها في الدهليز ؟.

- انها أوليف بارسونز .

ــ لن أدهش إذا ظهر انها اللصة .

- لماذا ؟.. هل كان يبدو عليها الخوف ؟.

ــ كلا كانت هادئة أكثر مما ينبغي . ولقد رأيت مئات من أمثالها في

محاكم البوليس .. ولكنني أراهن انها ليست من الطراز الذي يعترف بسهولة.
فتنهدت الفتاة وقالت :

ـ يخيل الي كأني كنت في حلم مزعج .. اني آسفة يا أبي على اني تصرفت على هذا النحو .

فقال وهو يربت على كتفها :
ـ لا عليك يا بنية ان الاقدار تبتلينا بمثل هذه الأمور لاختبارنا .

١٠ – ابريل :

كانت الشمس تصلي بيت نيفيل سترينج في (هايندهيد) ناراً حامية .. رغم أن لليوم كان أحد ايام شهر ابريل . ولكنه كان يعيد الى الأذهان أيام القيظ في شهر يونيو .

وهبط نيفيل سترينج درج السلم وتحت أبطه أربعة مضارب مما يستعمل في لعب التنس .

ولو قد طلب الى احدى اللجان ان تختار بين الانجليز انموذجاً للرجل السعيد الحظ ، الذي لا ينقصه شيء ، لوقع اختيارها على نيفيل سترينج .

فلقد عرفته الجماهير كرياضي ولاعب تنس من الطراز الأول ، وعرفته كسباح ولاعب جولف ومتسلق للجبال .. وكان فضلاً عن ذلك في الثلاثين من عمره وينعم بصحة جيدة ووجه وسيم وثروة طائلة .. وزوجة جميلة اقترن بها أخيراً . فهو فيما يعلم الناس انسان سعيد لا يعرف من هموم الحياة ما يعرفه سواه ..

هبط نيفيل درج السلم واجتاز الصالة وخرج الى الشرفة حيث كانت زوجته (كاي) تجلس بين الوسائل على اريكة كبيرة وبيدها قدح من عصير البرتقال

كانت كاي في نحو الثالثة والعشرين من عمرها ذات قوام فاتن وجمال غير عادي .. عيناها سوداوان وشعرها احمر وبشرتها بيضاء كالثلج .

هتف نيفيل حالما رآها :

– ماذا عندك للافطار أيتها الحسناء ؟.

فأجابت ·

- بيض ولحم مقدد وخبز وزبد وعصير ..

– هذا رائع .

وتناول نيفيل افطاره ، واحتسى قدحاً من القهوة ولم يـدر بين الزوجين حديث الى أن قالت كاي :

– انظر الى الشمس يا نيفل ؟. هل رأيت في انجلترا يوماً أجمل من هذا .

كانا قد عادا لتوهما من رحلة في جنوب فرنسا ..

وتناول نيفيل احدى الصحف والقى نظرة سريعة على عناوين الصفحة الأولى ومثلها على صفحة الرياضة ثم نحى الجريدة جانباً وأخذ بعض رسائله .. وكان معظمها اعلانات ونشرات

قالت كاي :

- ان ديكور الصالون لا يعجبني .. انه يحتاج الى تعديل فما رأيك ؟

– افعلي ما تشائين أيتها الحسناء ..

وبهذه المناسبة ، لقد دعتنا شيرلي الى رحلة الى النرويج على ظهر يختهـا في يونيو القادم .. اليس من الحزن الا نلبي هذه الدعوة ؟.

ونظرت اليه من ركن عينها بحذر ، واستطردت قائلة في أسى :

- كم كنت أود الاشتراك في مثل هذه الرحلة !.

فعبرت وجه نيفيل سحابة مظلمة ولم يجب ..

قالت كاي :

– هل من الضروري أن تذهب الى (كاميللا) وقصرها العتيق ؟.

فقطب نيفيل حاجبيه وأجاب :

– نعم .. اصغي الي يا كاي .. اننا ناقشنا هذا الموضوع مراراً قبـل الآن قلت لك ان السير ماتيو كان وصياً عليّ ، وانه وزوجته (كاميلا) أشرفا على تربيتي منذ نعومة أظفاري ، فبيتها في (جالز بونيت) وهو بيتي ...ومسقط رأسي ..

- حسناً إذن .. لا بد مما ليس منه بد .. وعلى كل حال ، أن ثروتهـــا ستؤول الينا ، انها ثروة السير ماتيو وقد اوصى بها لها ، على ان تؤول الي بعد موتهـــا . فالمسألة ليست مسألة ميراث .. انها مسألة عاطفية بحتة .. الا تفهمين ؟

– هل تعلم لماذا أنفر من الاقامة في قصر كاميلا يا نيفيـل ؟.. انني أنفر منها لأنهم يكرهونني هناك .. فالليدي تريسيليان تنظر الى من عليائها . وماري إيلدن تتجنب النظر الي هي تحدثني .. ان الاقامـة تطيب لك هناك لأنك لا ترى ما يحدث .

– انهم يعاملونك دائماً بأدب ، وما كنت أطيق أن يعاملوك بغير ذلك .

فقالت وهي تنظر اليه من ركن عينها وأهدابها السوداء الطويـــلة تخفق بسرعة :

– نعم ، انهم مهذبون تماماً ولكنهم يعرفون كيف يثيرونني . انهم ينظرون الي كدخيلة

– ذلك أمر طبيعي .. فلا لوم عليهم .

ونهض واقفاً ، وأولاها ظهره .. وراح يملأ عينيه من منظر الطبيعة .

فقالت وصوتها يرتجف قليلاً :

– نعم .. ذلك أمر طبيعي .. لأنهم كانوا يحبـــون أودري .. أودري المهذبة الباردة التي لا لون لها ان كاميلا لن تغفر لي انني حللت محلها .

لا يجب أن تنسى ان كاميلا قد تجاوزت السبعين وانها من جيل لا يقر

الطلاق . ولكنها ارتضت الأمر الواقع ووافقت على طلاقي من أودري رغم حبها لها ، وعطفها عليها ..

– انهم يعتقدون انك كنت تسيء معاملتها .

فقال بصوت خافت :

– أظن انهم على حق .

ولكن كاي سمعته وقالت في غضب :

– لا تكن مغفلاً يا نيفيل .. انها أحدثت حولها ضجة مفتعلة .. لكي تثير عطفهم عليها ..

– ان أودري لم تحدث أية ضجة .

– أعني انها كانت مريضة . وكانت تبدو كسيرة القلب ... حزينة ... فأثارت عطف الجميع عليها .. تلك هي الضجة التي أعنيها .. ان أودري ليست من اولئك الذين يتقبلون الهزيمة بصدر رحب .. والرأي عندي أن الزوجة التي لا تستطيع الاحتفاظ بزوجها ينبغي عليها أن تتخلى عنه في سماحة ورضى .. والواقع انه لم يكن بينكما أية صفة مشتركة ..فهي لا تقبل على الألعاب الرياضية التي تحبها أنت . وحالتها الصحية لا تسمح لها بالقيام بأي نشاط . كانت أشبه بخرقة مهلهلة . ولو قد أحبتك حقاً لوضعت سعادتك في المكان الأول ، ولسرها أن تراك سعيداً مع امرأة أخرى تلائمك .

فقال وعلى شفتيه ابتسامة ساخرة :

– دعيني أحيي فيك السماحة والخلق الرياضي .

فضحكت كاي واحمر وجهها .

قالت :

ربما أكون قد بالغت .. إنما أردت أن اقول أن على الانسان أن يقبل الواقع .

– لقد قبلت أودري الواقع وطلقتني لكي أستطيع الاقتران بك .

- اعلم ذلك .. ولكن ..

- انك لم تفهمي أودري قط ...

- هذا صحيح .. ولعل السبب انها مخلوقة غامضة ، لا يمكنك أن تعرف فيما تفكر .. إنها تخيفني في بعض الاحيان .. ربما لأنها خارقة الذكاء ..

- اعتقد أنك على حق أيتها الحبيبة البلهاء .

فضحكت كاي وقالت :

- لماذا تصفني بالبلاهة ؟.

وابتسما ، واقترب منها نيفيل وقبل عنقها وهو يتمتم :

- بلهاء وفاتنة .

- وطيبة القلب .. تضحي برحلة جميلة في يخت ، وتذهب الى قصر عتيق يضايقها فيه أقارب زوجها ..

قال وهو يعود الى مقعده :

- الواقع انني لا ارى ما يدعونا الى التخلف عن رحلة (شيرلي) إذا كنت تتوقين الى هذه الرحلة حقاً ..

فنظرت اليه في دهشة ولم تصدق أذنيها .

قالت :

- وماذا عن قصر (كاميللا) ؟.

- نستطيع الذهاب اليه في شهر سبتمبر ..

- ولكن يا نيفيل ..

فقاطعها :

- يجب ان نسقط من حسابنا شهري يوليو وأغسطس ، ففيهما تعقد مباريات التنس السنوية . التي تنتهي في الاسبوع الأخير من أغسطس

- كل هذا حسن .. ولكني أعتقد انها اعتادت ان تذهب الى قصر كاميللا في شهر سبتمبر من كل عام .

– من تعنين ؟.. أودري ؟.
– نعم .. ولكني أظن ان الليدي تريسليان لن تمانع في مطالبتها بأن ترجىء زيارتها الى وقت آخر .
– لماذا ؟
فنظرت اليه بارتياب وقالت :
– هل تعني اننا نستطيع أن نتواجد معها هناك في نفس الوقت !!.. يا لها من فكرة عجيبة !.
– وأي عجب في هذا ؟.. كثير من الناس يفعلون ذلك في هذه الأيام . لماذا لا يكون بيننا جميعاً نوع من الصداقة ؟. ذلك يجعل الأمور أكثر يسراً . أنت نفسك قلت ذلك منذ بضعة أيام .
– أنا ؟..
– نعم .. ألا تذكرين ؟.. كنا نتحدث عن مستر هاوس وعن الصداقة العجيبة بين زوجته الحالية وزوجته السابقة .. فقلت ان هذه هي الطريقة المتحضرة المعقولة للنظر الى الأمور .
– ولكني لا أعتقد أن اودري تفكر على هذا النحو .
– هراء .
– ليس هراء .. أنت تعلم كم كانت أودري تحبك .. ولا أظن انها ستطبق رؤيتنا معاً .
– أنت مخطئة يا كاي .. أن أودري ترحب بصداقتنا ؟.
ونظرت اليه بارتياب فارتبك قليلاً ثم سعل وقال :
– الواقع انني قابلتها مصادفة أمس في لندن .
– انك لم تذكر لي ذلك .
– هأنذا أذكره لك ..كانت مصادفة بحتة . كنت أمر بهايد بارك فرأيتها مقبلة نحوي ولم يكن من اللياقة أن أعرض عنها . أليس كذلك ؟.

- استمر .

- حييتها ومررنا معاً قليلاً ، ثم جلسنا على أحد المقاعد وتحدثنا في أمـور مختلفة وسألتني عنك .

- كانت لفتة كريمة .

- وتحدثنا عنك قليلاً ، وكانت ظريفة الى أبعد حد .. وخطر لي حينئذ أنه ليس ثمة ما يمنع من أن تصبحا صديقتين .. وأن ننتهز فرصة اقامتنـــا في قصر كاميللا لتوثيق أواصر هذه الصداقة .

خطر لك ذلك ؟..

- نعم ... كنت أنا وحدي صاحب الفكرة

- ولكنك لم تذكر لي قط كلمة واحدة عن هذه الفكرة .

- كانت فكرة بنت ساعتها

فقالت بجفاء :

- وهل وافقت اودري على فكرتك ؟

وأحس نيفيل باستيائها وقال :

- ماذا دهاك أيتها الحبيبة ؟

- لا شيء .. سوى انك والغريزة اودري لم تتساءلا عما إذا كنت اوافق على مثل هذه الفكرة الرائعة .

ولماذا لا توافقين بحق السماء ؟ أنت نفسك قلت منذ ايام ان ..

- انس ما قلت .. انني كنت اتكلم عن أناس آخرين . لا عن أنفسنا

- إذا كنت لا توافقين بسبب الغيرة .. فان الطرف الآخر هـــو صاحب الحق في أن يغار .. ولا تنسي اننا عاملنا أودري بقسوة ... كلا .. كلا .. أنا لا أعنيك أنت .. أعني اني عاملتها بقسوة .. فاذا استطعنـــا أن نكسب صداقتها فانني اصبح أنعم بالا وأطيب نفساً .

- هل أفهم من ذلك انك لم تكن ناعم البال منذ تزوجتني ؟.

– ماذا تعنين أيتها الحبيبة الحمقاء ! . على العكس ، انني كنت أسعد انسان في الوجود ولكن ..

– دائماً كلمة (لكن) ..

– أصغي الي يا كاي .. هل تغارين من أودري ؟.

– أنا لا أغار منها ولكني أخشاها .. انك لا تعرف أودري يا نيفيل .

– كيف لا أعرفها وقد عاشرتها ثمانية أعوام ؟.

– أؤكد لك انك لا تعرفها ..

٣٠ – ابريل :

صاحت الليدي تريسيليان .. التي يدعوها المقربون اليها باسم (كاميللا) :

– هذا غير معقول .. لا بد ان نيفيل قد جن .

فقالت ماري إيلدن :

– الحق انها فكرة عجيبة !

كان لليدي تريسليان أنف مقوس طويل تعرف كيف تنظر من فوقه بأنفه وكبرياء لتحقير محدثها عندما تريد ، وعلى الرغم من انها تجاوزت السبعين وأدركها الضعف والوهن ، فانها ظلت محتفظة بكل قواها العقلية ونشاطها الذهني .

صحيح انها كانت تتوقع احياناً وتعتزل الناس وتقضي في فراشها فترات طويلة ، إلا انها كانت تعود دائماً الى الحياة بعقل أوفر نشاطاً ولسان أكثر ذلاقة .

أما ماري إيلدن قريبتها التي تقيم معها وتعني بها فكانت في السادسة والثلاثين من عمرها . لها وجه أملس ناعم من تلك الوجوه التي تحتفظ بشبابها ورونقها رغم مرور السنين ، وشعر أسود غزير تطل منه خصلة بيضاء نمت فوق

جبينها منذ الصبا فاكتسبتها سماء مميزة .

وقدمت الليدي تريسليان الى ماري إيلدن الرسالة التي وردت اليهـــا من نيفيل سترينج ، فقرأتها بعناية وعقبت عليها بقولها :

— انها فكرة غريبة حقاً ..

فقالت الليدي :

— لا أعتقد انها فكرة نيفيل ، لا بد أن بعضهم أوحى بها اليـه ، وقـد تكون زوجته الجديدة هي صاحبة الفكرة .

— تعنين كاي ؟.. أتظنين انها فكرتها ؟

— طبعاً .. انها فكرة جديدة ومبتذلة ، الزوجة الجديدة والزوجة القديمة صديقتان ؟.

— حقاً لقد اهدر الناس المثل والتقاليد .

أعتقد أنها وجهة نظر عصرية ، وأسلوب حديث من أساليب التعامـل بين الناس ..

— انني لن اسمـح بشيء كهـذا في بيتي ، حسبي اني وافقت أن استضيف تلك الدمية الملونة .

— انها زوجة نيفيل .

— وذلك هو السبب في انني وافقت على قدمها الى هذا البيت .. فقد كان زوجي يحب نيفيـل . ويود أن يشعره بأن البيت بيته ، وقـد خشيت إذا أنا رفضت استقبال زوجته أن تحل القطيعة بيننا محل المودة .

أنني لا أحب هذه المرأة ، فهي لا أصل لها ولا جذور .وليست جديرة بأن تكون زوجة لينفيل .

— يقال انها من اسرة كريمة .

- بل انها من أصل وضيـع .. لقد طرد أبوها من جميـع الأنـدية بسبب الغش في اللعب ، ومن حسن حظه انه مات عقب ذلـك مباشرة . أما امهـا

فكانت لها شهرة معينة في (الريفييرا) ،وقد عاشت هي كل حياتها في الفنادق ثم قابلت نيفيل في احدى مباريات التنس ، فقررت أن تقتنصه ولم يهدأ لها بال حتى جعلته يترك زوجته ، انها الملومة في كل ما حدث .

– ونيفيل ؟. انه يستحق اللوم أيضاً .

– طبعاً . كانت له زوجة فاتنـة مخلصة فتخلى عنها .. ولكني ما زلت مقتنعة بانه لولا هذه المرأة اللعوب لعاد نيفيل إلى صوابه .

– كان الموقف عسيراً من جميع الوجوه ..

– نعم ، ان الانسان يحار ماذا يفعل في مثل هذه الظروف ، كان زوجي يحب أودري كما أحبها ، وليس من ينكر انها كانت نعم الزوجـة لنيفيل .. الشيء الوحيد الذي يؤسف له انها لم تكن تشاطره هواياته الرياضية .. ولكنها كانت دائماً رقيقة ضعيفة البنية . ان الأمر كله يدعو إلى الرثاء . وفي صباي لم يكن يحدث شيء من ذلك .. كان للرجال مغامراتهم بطبيعة الحال ، ولكن لم يكن يسمح لهم بهدم حياتهم الزوجية مهما كانت الأسباب .

– ولكن ذلك مسموح به في هذه الأيام

– هذا صحيح .. انك انسانة واقعية يا ماري . فلا جدوى من الحديث عن أيام مضت . في هذه الأيام تستطيع فتاة لعوب مثل كاي أن تخطف زوج امرأة أخرى دون أن يلومها أحد .

– لا يلومها إلا من كان مثلك يا كاميللا ..

– انني لست في العير ولا في النفير .. ومخلوقة مثل كاي لا يهمها ان أقر سلوكها او لا أقره . انها مشغولة دائماً بلهوها وعبثها .. ولكن لا مانع لدي من أن يحضرها نيفيل معه ، ولا من أن استقبل اصدقاءها .. وان كنت لا أميل إلى ذلك الشاب الرقيع الذي يحوم دائماً حولها .. ما اسم ذلك الشاب ؟.

– تعنين ادوارد لاتيمر ؟.

– نعم .. انه صديقها منذ أيام الريفيرا . ولست أعلم من أين له المـــال للحياة التي يحياها .

– لعله يعيش بمواهبه ..

– أعتقد انه يستثمر وسامته .. ولكني لا أراه الصديق المناسب لزوجـة فيفيل .. لقد ضايقني انه جاء في الصيف الماضي وأقام في فندق (ايستر هيد) ليكون على مقربة منها .

فنهضت ماري ايلدن ووقفت امام النافذة .

كان بيت الليدي تريسيليان يقع فوق ربوة تطل على نهر (تيرن) . وعلى الضفة الأخرى للنهر ، كان يوجد خليج ايستر هيد بشواطئه الرمليـــة التي أصبحت أخيراً قبــلة للمصطافين ، وأقيمت عليها طائفة من الأكواخ وفندق كبير يطل على البحر من ناحية ، وعلى قرية سولتكريك من ناحية أخرى .

وسولتكريك قرية صغيرة تقع أسفل الربوة التي ينهض فوقها قصر الليدي تريسيليان .. ويشتغل كل أهلها تقريباً بصيد السمك .

وكان السير ماثيو تريسيليان من هواة الملاحة وقد ابتاع هذا القصر منذ نحو ثلاثين عاماً .. ثم حدث منذ تسعة أعوام ان انقلب به قاربه فغرق في البحر أمام عيني زوجته . وكان من المتوقع بعد هذه الكارثة أن تبيع الليدي القصر وترحل عن سولتكريك ، ولكنها لم تفعل ، وظلت تقيم في القصر .. وكان كل ما فعلته انها تخلصت من جميع قوارب زوجها فأصبح يتعين على ضيوفها أن يسيروا على أقدامهم حتى المرفأ ، وهنــاك يستأجرون قارباً يقلهم عبر النهر في أضيق نقطة من مجراه .

* * *

قالت ماري بعد تردد قصير :

- هل اكتب إلى نيفيل لانبئه بأن ما يقترحه لا يتفق مع وجهة نظرك ؟.

فقالت الليدي تريسيليان :

— ليس لدي أي اعتراض على زيارة أودري ، فقد اعتادت القدوم في شهر سبتمبر من كل عام ، ولذلك لن اطالبها بتغيير برنامجها .

- يقول نيفيل في رسالته أن أودري توافق على رأيه ولا تمـــانع في مقابلة كاي .

— لا أصدق ذلك .. ان نيفيل ، مثل غيره من الرجـال ، يؤمن بكل ما يريد الايمان به .

— ولكنه يؤكد انه تحدث إلى أودري وأنها وافقت .

— أعتقد انه يشعر بأنه أساء التصرف ، ويريد الآن أن يريح ضميره .. لا بد انه ألح على أودري الحاحاً شديداً حتى انتزع موافقتها على لقـاء كاي .. انها أصيبت بأنهيار تام عقب الطلاق ولاذت ببيت عمتها مسز رويد وصارت شبحاً من فرط الهزال .. ولكنها استردت صحتها أخيراً ، وعادت الى سابق عهدها ، ولا يمكنني أن أصدق انها وافقت راضية على بعث ذكريات الماضي .. أصغي إلي يا ماري . ان غداً هو أول شهر مايو .. وبعد ثلاثة أيام ستكون أودري في ضيافـة آل دارلنجتون في (ايسبانك) التي لا تبعد عن هنا اكثر من عشرين ميلاً .. اكتبي اليها .. وأطلبي منها أن تأتي لتنـــاول الغداء معنا هنا .

* * *

٥ – مايو

اعلنت الخادمة قدوم أودري ستريبنج ، واجتازت أودري الغرفة الفسيحة التي ترقد الليدي تريسليان على فراش كبير في أركانها ، وانحنت فوق السيدة العجوز وقبلتها .. ثم جلست على مقعد بجوار الفراش .

قالت الليدي :

– كم أنا سعيدة بلقائك أيتها العزيزة !.

كانت أودري متوسطة القامة ، ذهبية الشعر ، شـــاحبة اللون ، لها وجه دقيق القسمات ، تطل منه عينان واسعتان لونها رمادي .. وكانت من الرقة بحيث يخيل الناظر اليها انها مجرد شبح .

ولكن صوتها كان صــافياً جميلاً ، وله رنين محبب كرنين جرس من الفضة .

ودار الحديث بين المرأتين حول بعض أصدقائها . الى ان قالت الليدي تريسليان :

– لقد دعوتك ايتها العزيزة لكي أراك أولاً . ثم لكي أقول لك انني تلقيت من نيفيل رسالة عجيبة .

فنظرت اليها أودري بعينها الصافيتين وقالت في هدوء :

– أحقاً ؟.

– لقد اقترح في رسالته أمراً لا يقبله عقل .. قــال انه يريد ان تتوثق أواصر الصداقة بينك وبين كاي ، وانك وافقت على ذلك .

فأجابت أودري بصوتها الهادىء العذب :

– وهل هذا أمر لا يقبله عقل .

– أحقاً أنك وافقت أيتها العزيزة ؟.

فصمتت أودري لحظة ثم أجابت :

– خيل الي ان ذلك لن يضير أحد

ـ أتريدين حقاً لقاء هذه الـ . لقاء كاي ؟.

ـ ما دام نيفيل يريد ذلك ...

ـ لا يهمني ما يريده نيفيل .. المهم هو هل وافقت أنت ؟.

فاحمر وجه أودري قليلاً وأجابت :

ـ نعم .

ـ ما دام الأمر كذلك ...

ثم استدركت قائلة :

ـ ان البيت بيتك .. وفي استطـــاعتك القدوم حينما تريدين .. انك ستحضرين في سبتمبر كالعادة ، وسيحضر نيفيل وكاي في نفس الشهر . الحق اني لا أفهم التطورات الجديدة التي طرأت على الحياة الاجتماعية ..

وأغمضت عينيها ، ولزمت الصمت لحظة ، ثم نظرت الى اودري وقالت :

ـ هل انت واثقة من ان مثل هذا اللقاء لن يؤلمك ؟. انك كنت تحبين نيفيل . وأخشى ان ينكأ هذا اللقاء جروحاً اندملت

فقالت أودري بهدوئها المألوف :

ـ ان كل ما كان بيننا قد انتهى تماماً .

فتمددت الليدي في فراشها وأغمضت عينيها مرة أخرى وهي تغمغم :

ـ ان نيفيل مغفل . وسوف يندم على انه فكر في الجمع بينكما ..

٢٩ مايو

أشعل توماس غليونه وأطل من نافذته على المزارع التي تترامى أمامه بينما كان خادمه يعمل بنشاط في حزم أمتعته ..

كان يفكر في انه لن يرى مرة أخرى قبل ستة شهور على الأقل ، هذه المزارع العزيزة التي عاش فيها طوال السنوات السبع الأخيرة ..

وفتح الباب ، وأطل منه شريكه آلان دريك وسأله :
– هل فرغت من حزم حقائبك يا توماس ؟.
– تقريباً ..
– اذن هلم بنا نتناول شراباً أيها الشيطان السعيد ..
فغادر توماس رويد الغرفة ببطء ولحق بشريكه وصديقه في شرفة البيت .
كان رويد ربعة القوم يتميز بوجه جامد وعينين قويتي الملاحظة .. وقد اشتهر بأنه صموت قليل الكلام ، حتى أصبح أصدقاؤه يعرفون انطباعاته من طريقة صمته ..

وكان يعرج قليلاً ويشعر بعجز ذراعه اليمنى نتيجة أصابته في زلزال حدث في الملايو .

قال دريك لصديقه وهو يعد الشراب :
– متى زرت انجلترا آخر مرة ؟.
– منذ سبع او ثماني سنوات .

– هل خططت لأجازتك وكيف ستقضيها ؟.
– الى حد ما .
– يخيل الي ان هناك فتاة في انتظارك .
– لا تكن مغفلاً .
ثم استطرد قائلاً على خلاف عادته في الصمت والايجاز
– اعتقد انني سأجد كل شيء قد تغير ..
فنظر اليه دريك في عجب وقال :
– لطالما تساءلت لما ذا عدلت عن السفر في آخر لحظة في العام الماضي ..
– جاءتني أنباء سيئة .
– آه .. تذكرت الآن .. لقد جاءك نبأ مصرع اخيك في حادث سيارة ..
فأطرق توماس برأسه ولم يجب .

وفكر دريك في انه كان بوسع صديقه مع ذلك أن يسافر ، فـان له في انجلترا أما وأختاً ..

وفجأة ، تذكر دريك أن صديقه ألغي رحلته قبل أن يرد اليه نبأ مصرع أخيه .

– هل كانت العلاقة بينك وبين أخيك طيبة ؟..

– بيني وبين أدريان ؟. كانت علاقة عادية ، وكل منـا يسير في طريقه .. كان ادريان محامياً .

وفكر دريك في الاختلاف الكبير بين الأخوين ، فاحدهما صناعته الكلام، والثاني لا يتكلم إلا بمقدار .

سأله : هل لا تزال أمك على قيد الحياة ؟.

– نعم ..

– وأعتقد ان لك أختاً أيضاً .

فهز رويد رأسه سلبا ، وقال :

– كلا ، انها احدى قريباتي وقد نشأت معنا لأنها كانت يتيمة .

– هل هي متزوجة ؟.

– كانت زوجة للمدعو نيفيل سترينج .

– آه ، ذلك الرياضي الذي يلعب التنس والجولف ؟.

– نعم ، ولكنها طلقته .

فقال دريك لنفسه :

– لا بد أنه قرر العودة الى انجلترا ليجرب حظه مع قريبته .

ثم قال ليغيّر مجرى الحديث :

– أكبر الظن انك ستقضي أجازتك في صيد السمك .

– انني أفضل الملاحة في (سولتكريك) .

- انها منطقة رائعة وأنا أعرفها .. وأعتقد انه يوجد بهـــا فندق قديم

مشهور ..

ـ نعم .. فندق بالمورال .. ربما اقيم فيه ... أو في بيت أصدقاء لي على مقربة منه .

٢٩ ـ مايو :

قال مستر تريفز :

ـ حقاً انه أمر يبعث على الضيق .. ظللت أتردد على فنــدق (مارين) بمنطقة (ليهيد) طوال خمسة وعشرين عاماً ، وها هم الآن يهدمونه بدعــوى التوسع وإدخال تعديلات ، لماذا لا يدعون فنادق الاصطياف وشأنها ؟ .

لقد كنت دائماً أحب منطقة (ليهيد)

فقال رافاس لورد مواسياً :

ـ ألا توجد هناك فنادق أخرى يمكنك الاقامة فيها ؟.

فقال مستر تريفز :

ـ ما دام فندق مارين قد عدم فلن أذهب الى (ليهيد) اطلاقاً .. كانت مسز ماكاي صاحبة فندق مارين تعرف مطالبي واحتياجاتي .. وكنت أقيم في نفس الغرفة كل عام ، ولم يحدث قط أي تغيير في نظام الخدمة وكان الطعــام جيداً .

ـ ما رأيك في منطقة (سولتكريك) ؟. يوجد هناك فندق جديد معروف باسم فندق (بالمورال) تشرف عليه سيدة تدعى مسز (روجرز)كانت تعمل طاهية في قصر اللورد (ماونتهيد) الذي طالما قدم لضيوفه أشهى أطعمــة عرفتها لندن ، وقد اقترنت الطاهية بكبير خــدم قصر اللورد وانشأت مع زوجها هذا الفندق الذي يخيل الي انه يلائمك تماماً ، ولسوف تجد فيه الهدوء والراحة والطعام الجيد . ولا شيء من موسيقى (الجاز) التي تزعج العجائز

من أمثالنا .

– وهل توجد بهذا الفندق شرفة مسقوفة ؟.

– به شرفة واسعة مسقوفة تجد فيها الشمس والظل على السواء ، واستطيع أن اقدمك الى بعض الشخصيات التي تقيم بالمنطقة ،كالليدي تريسيليان التي تمتلك قصراً هناك . وهي سيدة ظريفة رغم انها قلما تبرح فراشها ؟

– الليدي تريسيليان ؟. أرملة القاضي السير ماتيو تريسيليان ؟.

– نعم .

– انني كنت أعرف السير ماتيو ، وأعتقد انني قابلت زوجته في بعض المناسبات ، كان ذلك منذ وقت طويل مضى ، ان (سولتكريك) تقع بالقرب من سانت لو .. أليس كذلك ؟. ان لي اصدقاء كثيرين في المنطقة ، أعتقد ان فكرتك صائبة يا رافاس ، سأكتب الآن الى فندق بالمورال في طلب بعض التفصيلات ، أريد أن اقيم هناك شهراً من منتصف أغسطس الى منتصف سبتمبر هل توجد بالفندق حظيرة للسيارات ومكان لإيواء السائق ؟.

– طبعاً ، انه فندق كبير يدار بأحدث الأساليب العصرية ؟

– وهل يوجد به مصعد ؟. أنت تعلم انني لا أستطيع الصعود الى الطوابق العليا ..

– أظن أن به مصعداً ..

– ذلك ينهي مشكلتي تماماً ... وسوف يسرني أن أجدد معرفتي بالليدي تريسيليان .

٢٨ – يوليو :

كانت كاي ستريدنج ترتدي (الشورت) وقميصاً برتقالي اللون وحذاء خفيفاً ،وترقب زوجها باهتمام وهو يلاعب (ميريك) الشاب في المباراة النهائية

لفردي الرجال في دورة العاب التنس التي أقيمت في سانت لو .

وكان المفهوم أن ميريك هو أقوى المرشحين لبطولة الدورة . فقد كانت ضرباته من البراعة بحيث لا يمكن صدها، ولكن نيفيل كان يمتاز بالخبرة والجلد وأسفرت الجولة السادسة بين الغريمين عن التعادل ٣ – ٣ .

وكان إدوارد لاتيمر يجلس بجوار كاي ويشهد المباراة بقلة إكتراث فقال ساخراً :

– الزوجة الوفية ترقب زوجها المحبوب وهو يشق طريقه الى النصر !! ..

كان كاي لاتيمر في نحو الخامسة والعشرين من عمره، وسيماً الى حد يلفت اليه الأنظار ، له عينان أقوى تعبيراً من لسانه ، وصوت يعرف صاحبه كيف يتحكم في نبراته كأعظم ممثل .

– وقد عرفت كاي صديقها هذا منذ كانت في الخامسة عشرة من عمرها ، فكانا يصطفان في نفس المصيف كل عام ويرقصان معاً ويلعبان التنس معاً وتطورت الصداقة بينهما مع الأيام الى شبه تحالف .

قال إدوارد :

– ان نيفيل يستخدم ظاهر يده خيراً مما يستخدم باطنها .

وانتهى الشوط السابع بفوز نيفيل ، وبدأ ميريك يفقد أعصابه ، ويرسل الكرة حيثما اتفق وانتهى الشوط الثامن بفوز نيفيل ٥ – ٣ .

ثم تمالك ميريك نفسه وأخذ يلعب بحذر شديد .. وغير سرعته وضرباته ولم يلبث أن تعادل مع غريمه ..

وحينئذ قال لاتيمر :

– يبدو انها ستكون مباراة حامية ..

وحمي وطيس المباراة فعلاً وانتهت بفوز ميريك ٩ – ٧ .

وتقدم نيفيل من الشبكة وصافح غريمه وهو يبتسم فقال لاتيمر :

– ان السن أحكامها .. تسعة عشر عاماً ضد ثلاثة وثلاثين .. ولكني

أستطيع أن أقول لك يا كاي لماذا لم يصل نيفيل قط الى مرتبة البطولة ، انه لم يصل اليها لأنه تعود أن يلقي الهزيمة بصدر رحب .

– هراء .

– انه لا يتخلى عن خلقه الرياضي ولم أره قط يفقد أعصابه حين يخسر إحدى المباريات .

– ولكنك مع ذلك لا تحبه ..

– وكيف أحبه وقد خطف مني فتاتي ..

وتعلقت عيناه بعينيها فقالت :

– أنا لم أكن فتاتك .. ثم انني أحببته فتزوجته .

– على كل حال هو رجل ظريف والجميع يقولون عنه ذلك .

– هل تريد مضايقتي ؟.

وتحولت اليه بحدة وهي تقول ذلك ، ولكنه ابتسم فانفثأ غضبها على الفور وابتسمت بدورها .

سألها : كيف مضى الصيف ؟.

– أمضيته في رحلة ممتعة ، ولكني سئمت هذه المباريات .

– كم ستستغرق بعد ذلك ؟.

– نحو شهر ؟.

– نعم .. وسنذهب في سبتمبر الى (جالز بوينت) حيث نقضي نحو اسبوعين .

– أما أنا فقد حجزت غرفة بفندق إيستر هيد .

– سنكون أعجب جماعة أظلها سقف واحد .. أنا ونيفيل ، وزوجة نيفيل السابقة ورجل آخر قادم من الملايو ليقضي اجازته في انجلترا .

فقال لاتيمير ضاحكا :

– وأنا في فندق على مقربة منكم .

وعندما قابلت كاي زوجها خارج غرفة الملابس ، قال لها :

– اري ان صديقك قد وصل ؟.

– من ؟.. إدوار ؟.

– نعم .. إدوارد .. الكلب الأمين .

– ألا تحبه ؟..

– أنا لا أعبأ به .. ولطالما يسرك ان تمسكي بقوده ..

فهزت كتفيها وقاطعته قائلة :

– أظن انك تغار منه .

– من إدوارد لاتيمر ؟..

– المفهوم انه شاب وسيم جذاب .

– هذا صحيح .. ولكني لا أغار منه .. لن أغار حتى ولو مشى في ركابك جيش من المعجبين .. لسبب بسيط هو انك ملك لي .

– ما أسد ثقتك بنفسك !

– ولم لا .. ؟ السنا تعبيراً حياً لإرادة القدر ؟. القدر وضع كلا منا في طريق الآخر ، والقدر جمع بيننا كزوجين .. هل تذكرين كيف التقينا في مدينة (كان).. ثم كيف رحلت انا بعد ذلك الى (استوريل) في اسبانيا فاذا بي أجد نفسي فجأة امام كاي الفاتنة ؟.. لقد احسست يومئذ انه القدر ، وان لا مفر من النزول على ارادته .

– انه لم يكن القدر ايها العزيز .. انه انا .

– ماذا تعنين ؟.

– انني اعجبت بك حين رأيتك في (كان) ثم سمعتك تقول انك ذاهب الى (استوريل) . فاقنعت امي بالذهاب اليها وهكذا وجدتني امامك هناك .

فرمقها نيفيل بنظرة عجيبة وقال بعد صمت طويل :

– انك لم تصارحيني بذلك قبل الآن .

– لم اصارحك اشفاقاً عليك من الغرور .. ولكنني كنت دائمـاً بارعة في التخطيط .. وأحياناً اخطط لأهداف بعيدة جـداً .. انني لست بلهـاء كما وصفتني .

فقال نيفيل بشيء من المرارة :
الآن فقط بدأت افهم المرأة التي تزوجتها .
– هل انت حانق عليّ يا نيفيل ؟
– كلا طبعاً .. لماذا احنق عليك ؟..

١٠ – اغسطس :

جلس اللورد كورنيلي ، ذلك النبيل الثري الغريب الأطوار ، امام مكتبه الضخم لذي كان في السنوات الأخيرة مصدر فخره وخيلائه .

كان هذا المكتب العظيم قد صنع خصيصاً له ، وبارشاداته ، وكلفه مبلغاً طائلاً ، وقد روعي في ديكور الغرفة ان يبرز ضخامة المكتب وفخامتـه ، وكانت النتيجة منظراً يبهر الأبصار ، لا يشوه سوى وجود اللورد كورنيلي ، ذلك التافه القصير القامة ، الذي انكمش حجمه بالقياس الى ضخامـة المكتب فبدا اشبه بالأقزام .

ودخلت سكرتيرة رشيقة يتناسب شعرها الأشقر مع لون الغرفة . فسارت على الأرض اللامعة دون ان تحدث صوتاً ، ووضعت امام اللورد قصاصـة من الورق .

ونظر اللورد الى الورقة وغمغم قائلاً :
– يا ماكويرتر ؟. ماكويرتر من هو ؟. هل كان معي على موعد ؟.
فأجابت الشقراء بالإيجاب .
وفكر اللورد قليلاً ، ثم لمعت عيناه وهتف :

- ماكويرتر !!.. طبعاً !. دعيه يدخل .
وضحك ، وأحس براحة نفسية .

* * *

واعتدل اللورد في مقعده ، وصعد الزائر بعينيه ، وتفرس في وجهه العبوس .

سأله :

- هل أنت ماكويرتر ؟

فأجاب ماكويرتر وهو منتصب القامة مقطب الجبين :

- نعم .

- هل كنت تعمل مع هربرت كلاي ؟.

- نعم .

فضحك اللورد مرة اخرى وقال :

- انني أعرف كل شيء عنك . لقد سحبت رخصة قيادة هربرت كلاي لأنك رفضت ان تشهد بأنه كان يقود سيارته بسرعة ثلاثين كيـــلو متراً في الساعة ، انه يتميز غيظاً منك .

وواصل الضحك بصوت مرتفع واستطرد قائلاً :

- انه روى لي القصة كلها في فندق سافاي .. وصاح : لقد حاولت عبثاً أن اقنع الاسكتلندي العنيد بأن يؤيد كلامي ... فهل تعرف ماذا خطر لي عندما سمعت القصة ؟.

- ليست لدي أية فكرة .

وكان ماريرتر يتكلم بايجاز وبشيء من الجفاء ولكن اللورد لم يقم لذلـــك وزناً وقال :

– لقد قلت لنفسي : هذا هو الرجل الذي أريده .. رجل لا يحيد عن الصدق مهما كانت المغريات .. اصغ الي يا مـــاكويرتو .. انك لن تضطر الى الكذب من أجلي لأنني أعمل في وضح النهار . ولا أخفي شيئاً .. ولقد كنت دائماً ابحث عن أناس أمناء ولكن ما أقلهم في هذه الدنيا

ثم كف عن الضحك وتفرس في وجه ماكويرتو مرة أخرى وقال :

– اذا كنت تريد عملاً يا ماكويرتو فلدي عمل لك .

– انني أرحب به .

– عندي لك وظيفة هامة لا يجب ان يشغلها سوى رجل أمين يمكن الوثوق به .

وصمت اللورد وانتظر رد ماكويرتو ، ولكن هذا لزم الصمت .

فصاح اللورد :

- تكلم يا رجل .هل استطيع الاعتماد عليك ؟

فأجاب ماكويرتو بجفاء .

– طبعاً تستطيع ، هل تتوقع مني ان اقول غير ذلك ؟

فأعجب اللورد بحديثه وقال :

– سأسند اليك هذه الوظيفة ، فأنت الرجل الذي اريده . . هل تعرف أميريكا الجنوبية ؟.

وبدأ يتحدث في التفصيلات ، وبعد نصف ساعة ، كان مـــاكويرتو يسير في الشارع وهو يعد نفسه المرشح الوحيد لوظيفة هامة ذات مستقبل عظيم .

لقد ابتسم له الحظ بعد طول عبوس أما هو فلم يبتسم ، رغم ان تفصيلات لقائه مع اللورد كانت تبعث على الضحك .

أليس مما يضحك انتكون شتائم مخدومه السابق وحملته عليه ، هي جواز المرور الى عمله الجديد ؟.

لا شك أنه انسان حسن الحظ . ولكن ما أهمية ذلك ؟. لقد آل على

نفسه ان يعيش . ولكن بلا حماسة أو اهتمام .. سيعيش ليومه .. دون ان يلقي ببصره الى غده .

أنه حاول الانتحار منذ سبعة شهور ، ونجا من الموت بمحض الصدفة ... ولكنه الآن ليس على استعداد لان يكرر المحاولة مرة أخرى .. ان الانسان لا يستطيع ان يقتل نفسه لمجرد احساسه بأن الحياة لم يعد لها معنى ولا قيمة .. انما يقتل الانسان نفسه حين يبلغ به اليأس المدى بل ويتجاوزه .. لا بد من القشة التي تقسم ظهر البعير .

بيد أنه أحس بالارتياح بصفة عامة لان وظيفته ستبعده عن انجلترا ، ذلك أنه تقرر ان يبحر الى امريكا الجنوبية في نهاية شهر سبتمبر .. ولذلك كان لا بد له ان يقضي الأسابيع القليلة التالية في الاستعداد للرحيل والتعرف على دقائق عمله الجديد .. وسيبقى له قبل الرحيل أسبوع للراحة .. فأين يقضيه ؟. هل يقضيه في لندن .: او خارجها ؟.

وصمم عزمه على ان يقضيه في سولتكريك . في المنطقة التي أقدم فيها على الانتحار ..

وارتسمت على شفتيه ابتسامة . حين خطرت له هذه الفكرة ..

١٩ أغسطس :

قال المفتش باتل بامتعاض :

ـ لقد ذهبت اجازتي مع الريح ..

وأحست مسز باتل باليأس وخيبة الأمل ، ولكن السنوات الطويلة التي عاشتها كزوجة لمفتش البوليس علمتها ان تواجه اليأس وخيبة الأمل بشيء من الفلسفة ..

قالت :

ـ لا بد مما ليس منه بد .. هل ثمة قضية هامة ؟.

– بل قضية عادية .. لا تفترق عن غيرها الا بانها خاصة بوزارة الخارجية .. ولكنها ليست من النوع الذي يستحق ان انشره في مذكراتي لو كنت من الحماقة بحيث أكتب أية مذكرات .

– لا بأس من ان نرجيء أجازتنا اذا ...

فقاطعها زوجها بحدة :

– كلا .. أبداً .. اذهبي مع الفتيات الى (برتيلجتون) فقد حجزت شقة هناك منذ شهر مارس .. وحرام ان لا نفيد منها .. أما أنا فسأقضي أسبوعاً مع جيمس بمجرد الفراغ من هذه القضية .

كان جيمس ليتش هو ابن أخيه ، وكان يعمل مفتشاً للبوليس في (سولنجتون) .

واستطرد باتل قائلاً :

– ان سولتنجتون تقع على مقربة من سولتكريك .. ومن خليج ايستر هيد .. وهكذا سوف تتهيأ فرصة للاستمتاع بماء البحر وهوائه .

فتنهدت مسز باتل وقالت :

– أكبر الظن انه سوف يشغلك معه في بعض القضايا ..

– لن تكون لديهم قضايا هامة في مثل هذا الفصل من السنة .. يضاف الى ذلك ان جيمس كفء لمعالجة قضاياه بنفسه .

– على رسلك اذن .. ولكن الانسان لا يتمالك من الشعور بخيبة الأمل .

– هذه محن ترمينا بها الأقدار لاختبارنا .

الفصل الثالث

الجريمة

- ١ -

ما ان غادر توماس رويد القطار في محطة (سولتنجتون) حتى وجد ماري ايلدن في انتظاره .

لم يكن يذكرها جيداً ، ولكنه عرفها حالما رآها ، ولاحظ أنهـا لا تزال كعهده بها حازمة سريعة في حسم الأمور قالت له وهي تدعوه باسمه الشخصي كما كانت تفعل فيما مضى :

— كم أنا سعيدة بلقائك بعد كل هذه السنين يا توماس ؟

— كان كرماً منكم ان توافقوا على اقامتي معكم .. وأرجو الا يكون في ذلك ازعاج لكم .

- على العكس .. انك ستحل بيننـــا على الرحب والسعة .. هل هذه حقائبك ؟. دع الحمال يذهب بها الى السيارة .. انني تركتها أمام المحطة .

ووضعت الحقائب في السيارة ، وجلست ماري أمام عجلة القيادة ، وجلس توماس بجوارها ..

وتحركت السيـــارة ، ولاحظ توماس أنها تجيد القيـــادة ، وتحسن تقدير

المسافات والأبعاد .

وكانت سولتنجون تبعد عن سولتكريك حوالي سبعة أميال ، وما أن خرجت السيارة من المدينة الصغيرة حتى عادت ماري الى الحديث عن زيارة توماس .

قالت له :

– ان قدومك في هذه الأيام نعمة من السماء ، فالأمور في القصر ليست على ما يرام ، ووجود شخص غريب هو ما نحتاج اليه .

– لماذا ؟.. ماذا حدث ؟.

القي هذا السؤال بفتور ، وبلا حماسة كأنما القاه تأدباً لا بدافع الفضول، وذلك ما كانت تريده ماري .. كانت تريد شخصاً تتحدث اليه .. وتفضل أن يكون هذا الشخص ممن لا يعنيهم ما يحدث في القصر .

أجابت :

– اننا في مأزق حرج ، لقد جاءت أودري .. هل تعلم ذلك ؟.

فأومأ برأسه علامة الإيجاب .

قالت :

– وكذلك جاء نيفيل وزوجته .

فرفع توماس حاجبيه ، وقال بعد لحظة :

– موقف حرج حقاً .. أليس كذلك ؟.

– نعم .. كانت فكرة نيفيل .

– لماذا ؟..

فقلبت كفها في حيرة وأجابت :

– لعله فعل ذلك تجاوباً مع الأساليب الحديثة .. التي تقول أن الصداقة والتفاهم بعد إنقضاء الصلات الزوجية لا تضير أحداً .. .

– وماذا عن الزوجة الجديدة ؟.

– كاي ؟. إنها جميلة طبعاً .. بل على جانب عظيم من الجمال .. وصغيرة السن ..

– وهل نيفيل يحبها ؟

– أظن ذلك .. وان كنت لا أرى بينهما صفة مشتركة .. فأصدقاؤها مثلاً ..

ولم تتم عبارتها ، وقال :

– أعتقد انه قابلهـــا في الريفييرا ؟. اني لا أعرف عنها سوى الحقائق القليلة التي سجلتها أمي في رسائلها الي .

– نعم ، انه قابلها لأول مرة في مدينة (كان) ولكني ما زلت على يقين من أنه لو ترك لنفسه في ذلك الوقت لما اسفرت المقابلة عن شيء . لأنـــه كان يحب أودري كما تعلم .

فهز رأسه علامة الموافقة ومضت ماري في حديثها وقالت :

– لا أظن انه كان يريد هدم حياته الزوجية ، ولكن الفتاة كانت مصممة فلم يهدأ لها بال حتى حملته على ترك زوجته .

– هل هي مولعة به الى هذا الحد ؟..

والتفت عيونها فقالت :

– أظن ذلك .. رغم ان لها صديقاً وسيماً يمشي في ركابهـــا أينما ذهبت .. واني لأتساءل في بعض الأحيان ، عما إذا كانت الفتاة تحب نيفيـــل لشخصه أو لثروته ومركزه . ذلك لأنها فقيرة لا تملك شروى نقير .

واحمر وجهها قليلاً واستطردت قائلة :

– ربما كان حديثي مبعثه الحسد ، فالفتاة رائعة الى حد يثير حسد العوانس مثيلاتي .

– ولكن ما هو الحرج الذي تعانونه الآن ؟.

– الحق انني لا استطيع تحديده أو توضيحه .. لقد استطلعنا رأي أودري

في البداية فلم تمانع في مقابلة كاي وكانت لطيفة كالعادة ، انها انسانة كاملة بكل معنى الكلمة . تعرف كيف تسيطر على نفسها وتتحكم في مشاعرها فلا يستطيع أحد أن يتكهن بما تشعر به أو تفكر فيه .. على انني شخصياً أعتقد أن وجود نيفيل وكاي لا يهمها حقاً .

– ولماذا تهتم ؟ لقد انتهى كل ما كان بينها وبين نيفيل منذ ثلاث سنوات.

– ولكن هل تنسى من كانت مثلها ؟.. انها كانت تحب نيفيل حباً جماً .

– انها في الثانية والثلاثين من عمرها وما زال المستقبل فسيحاً أمامها .

– هذا صحيح . ولكن انفصالها عن نيفيل كان صدمة لها ، وقد أصيبت بانهيار كما تعلم .

– أعلم ذلك ، فقد انبأتني أمي في رسائلها الي .

– كان وجود أودري مع امك في ذلك الوقت من بواعث الترفيه عن أمك نفسها ، فقد صرفها عن الحزن والتفكير في مصرع أخيك ... كم اسفنا جميعاً عليه !!

– مسكين أدريان ، كان مولعاً بالسرعة .

فصمتت ماري قليلاً ثم قالت فجأة :

– حدثني يا توماس ، هل تعرف أودري جيداً ؟

– انني لم أراها إلا قليلاً في السنوات العشر الأخيرة .

– ولكنك كنت تعرفها وهي طفلة .. ألم تكن بمثابة اخت لك أنت وداريان ؟

فأطرق برأسه علامة الإيجاب .

قالت

– هل لاحظت في وقت ما أنها تفتقر الى الاتزان ؟..

لا أعني هذا تماماً .. أريد أن أقول انني أشعر أحياناً بأنها ليست طبيعية انها لا تبالي بما حولها وتبدو كاملة بطريقة غير مألوفة ولكني اتساءل أحياناً

ترى ماذا وراء هذا المظهر ؟. قد لا يكون هناك ما يستوجب هذا التساؤل وقد أكون متأثرة بالجو الذي يسود القصر هذه الأيام.. انه جو يشد الاعصاب ولذلك قلت لك ان قدومك سيلطف الكثير من التوتر .

* * *

ووصلا الى القصر الذي ينهض فوق ربوة تطل على النهر ، وهناك قالت ماري :

– سأذهب بالسيارة الى الحظيرة التي تقع في الجانب الآخر من القصر .

وأقبل هرستال العجوز ، كبير الخدم ، فحيى توماس تحية صديق قديم ورحب به قائلاً :

– كم أنا سعيد برؤيتك بعد كل هذه السنين يا مستر رويد .. لقد أفردنا لك الغرفة الشرقية .. وستجد القوم جميعاً في الحديقة اللهم إلا إذا أردت الذهاب الى غرفتك أولاً .

فهز توماس رأسه ، ومضى الى قاعة الاستقبال واجتازها الى الباب المؤدي الى الشرفة ، وتوقف هناك لحظة لكي يرقب القوم دون أن يروه .

رأى في الشرفة امرأتين ، احداهما تجلس على الحاجز وتنظر الى النهر ، والثانية تراقبها من بعيد بعينين كعيني الهرة حين تتربص بفأر .

كانت الأولى هي اودري ، وأدرك توماس ان الثانية لا بد ان تكون كاي. ولم تكن تعلم أن هناك من يراها ، ولذلك لم تحاول إخفاء التعبير الذي ارتسم على وجهها .. وأيقن توماس من نظرة كاي الى اودري انها تمقتها أشد المقت .

اما اودري فلم يبد عليها انها تعبأ بكاي او تشعر بوجودها

كان توماس قد رأى اودري آخر مرة منذ سبعة أعوام ، فراح الآن يتأملها باهتمام ليرى مدى ما طرأ عليها من تغيير .

كان هناك تغيير بلا شك .. فقد اصبحت اودري اشد نحولاً وشحوباً .. ورقة .. ولكن لا اثر على وجهها لتجاعيد الهم والحزن كما كان يتوقع .

ونظر الى المرأة الأخرى .. الى الفتاة التي اتخذها نيفيل زوجة له .

كانت جميلة حقاً ، وخطرة ايضاً .. حتى انه قال لنفسه :

- انني لا اطمئن على اودري إذا انفردت بها هذه المرأة وبيدها خنجر .

ولكن لماذا تمقت اودري ؟ . لقد انتهى كل ما كان بين اودري ونيفيل .

وفي هذه اللحظة ، سمع وقع اقدام ثقيلة تقترب ، ورأى نيفيل يصعد درج السلم المؤدية من الحديقة الى الشرفة .

قال نيفيل وهو يلوح بمجلة في يده :

- ها هي المجلة المصورة .. اما المجلة الأخرى فلم اجدها .

وهنا حدث شيئان في نفس اللحظة إذا قالت كاي :

- حسناً اعطيها ..

بينما مدت اودري يدها وهي شاردة الذهن دون ان تحرك رأسها او تنظر الى نيفيل .

ووقف نيفيل في منتصف المسافة بين المرأتين ، وظهرت وجهه دلائل الارتباك .

وقبل أن يتكلم ، صاحت كاي بصوت مشحون بالهستريا :

- أعطنيها .. أعطنيها يا نيفيل .

وبهتت أودري . وحولت رأسها ، وسحبت يدها : وقالت بقليل جداً من الإرتباك :

- أنا آسفة يا نيفيل .. ظننتك تتحدث الي .

فخطا نيفيل الى الأمام بسرعة ، وقدم المجلة لأودري .

ولكنها ترددت واشتدت حيرتها .. وهمت بأن تعتذر عن قبولها .

وفي هذه اللحظة ، دفعت كاي مقعدها الى الوراء بعنف ، وانبعثت واقفة ... ودارت على عقبيها وانطلقت نحو الباب الموصل الى قاعة الاستقبال

وكان دخولها مفاجأة لتوماس الذي ما كاد يتراجع خطوة حتى اصطدمت به ..

وتراجعت كاي ونظرت اليه معتذرة ، وحينئذ أدرك توماس لماذا لم ترد.. ولماذا ارتطمت به . فقد كانت دموع الغضب تملأ عينيها .

هتفت بصوت مرتجف :

ـ من أنت ؟.. آه .. لا شك انك الرجل القادم من الملايو .

فقال توماس :

ـ نعم .. أنا الرجل القادم من الملايو .

فصاحت :

ـ ايتني كنت الآن في الملايو .. أو في أي مكان آخر غير هذا المكان . انني امقت هذا البيت وكل ما فيه ومن فيه .

وكانت هذه المواقف تزعج توماس فأطرق برأسه ولم يجب .

قالت :

ـ خير لهما ان يكونا على حذر وإلا قتلت احدهما يوماً ما .

قالت ذلك وهرولت الى خارج الغرفة ، وأغلقت الباب وراءها بعنف .

وجمد توماس في مكانه ولم يدر ماذا يفعل ، ولكنه أحس بارتياح لانصراف كاي .

وفيما هو ينظر الى الباب الذي توارت كان وراءه ، إذا به يسمع وقع اقدام تقترب منه ورأى نيفيل سترينج .

وكان نيفيل محتقن الوجه ، لاهث الانفاس ، فما ان رأى توماس حتى هتف .

– اهذا انت يا رويد ؟.. لم اكن اعلم انك جئت ... هل رأيت زوجتي ؟.

– انها مرت من هنا منذ لحظة .

فهرول نيفيل في اثر زوجته ، بينما خرج توماس الى الشرفة .

ولم تشعر به اودري إلا حينما اصبح منها قيد خطوتين ، وحينئذ وثبت من مكانها فوق حاجز الشرفة وهتفت وهي تبسط اليه ساعديها :

– توماس .. ايها العزيز توماس .. كم انا سعيدة بقدومك ..

فأمسك بيدها ، ورفعها الى شفتيه .

– ٢ –

وجد نيفيل زوجته في غرفة نومها .

كانا يقيمان في جناح صغير خاص يتألف من غرفتين يصل بينهما باب ... وكان مخدع الليدي تريسيليان هو المكان الوحيد في القصر الذي يوجد به فراشان .

وسمعت كاي وقع اقدامه فرفعت اليه وجهاً مبللاً بالدموع وصاحت في غضب :

– اخيراً جئت !!.

– اخيراً جننت يا كاي ؟.. لم كل هذه الضجة ؟.

كان يتكلم بهدوء .. ولكن اختلاجة انفه كانت تنم عن غضب مكظوم. صاحت :

– لماذا اعطيتها المجلة المصورة ولم تعطنيها ؟.

– الحق يا كاي انك ما زلت طفلة !! .. اتحدثين كل هذه الضجة من اجل مجلة مصورة تافهة ؟.

فقالت باصرار :

– انك قدمتها اليها ولم تقدمها لي .

– وما اهمية ذلك ؟..

– انه يهمني .

– الحق اني لا ادري ماذا دهاك ؟.. هل من اللائق ان تتصرفي بهذه الطريقة المستيرية في بيوت الناس ؟؟ الا تعرفين كيف ينبغي أن يكون سلوك الانسان المهذب أمام الآخرين ؟..

– لماذا اعطيتها المجلة ؟

– لأنها كانت تريدها .

– كنت أيضاً أريدها . . وأنا زوجتك .

– وهذا ادعى الى اعطاء المجلة للمرأة التي اكبر سناً والتي لا تربطنا بها في الواقع أية صلة .

– انها انتصرت علي .. طلبت المجلة ونالتها ... انك وقفت في صفهـــا ضدي .

– انت تتكلمين كطفل غيـــور أحمق .. تمالكي نفسك بحق السماء . وحاولي أن يكون سلوكك لائقاً أمام الناس .

– كسلوكها ؟.

فقال ببرود :

– ان اودري على كل حال تعرف كيف تتصرف كسيدة مهذبة .

– انها تثيرك ضدي .. انها تمقتني وتريد أن تنتقم لنفسها .

– الاتكفين عن الهذيان يا كاتي ؟.. لقد سئمت هذا الصغار .

– إذن هلم بنا نرحل من هنا .. لنرحل غداً .. انني أمقت هذا البيت .

– نحن لم نقض فيه سوى اربعة أيام .

– انها تكفي .. دعنا نذهب يا نيفيل .

ـ اننا جئنا لقضاء أسبوعين ، وسأقضي هنا أسبوعين .

ـ سوف تأسف على ذلك يا نيفل .. سوف تأسف انت وأودري .. انك تعتقد انها امرأة رائعة ..

ـ أنا لا أعتقد ان اودري امرأة رائعة .. وانما أعتقد أنهـا دمثة الخلق وكريمة ، وانني عاملتها بقسوة فقابلت ذلك بالصفح والغفران

فقالت وهي تعتدل جالسة في فراشها :

ـ اذا ظننت ذلك فانت مخطيء .. ان أودري لم تغفر لك يا نيفيل .. لقد رأيتها مرة أو مرتين وهي تنظر اليك خلسة . انني لا اعرف ما يدور بخلدها لأنها من أولئك الذين لا يدعون الآخرين يعرفون ما يدور بخلدهم ..

ـ مما يؤسف له انه لا يوجد كثيرون من هذا الطراز .

فتغير لون كاي وقالت:

ـ أتعنينني بهذا الكلام ؟.

ـ انك لم تحاولي قط السيطرة على مشاعرك ، كلما خطر لك خاطر ينم عن الغيظ والحقد ســـارعت الى الجهر به .. انك تجعلين من نفسك ومني سخرية للآخرين .

فقالت ببرود .

ـ هل تريد ان تقول شيئاً آخر ؟.

فأجابها بنفس البرود :

ـ يؤسفني ان تظني إنني اتحامل عليك .. ولكني لم أذكر سوى الحقيقة .. انك لا تسيطرين على مشاعرك أكثر مما يسيطر الطفل .

ـ أما انت فأنك لا تغضب ابداً .. انت دائماً هاديء رزين حتى ليخيل الي في بعض الأحيان انك بلا شعور ... وانك مجرد سمكة باردة ؟. لماذا لا تطلق العنان لمشاعرك بين وقت وآخر ؟. لماذا لا تغضب وتثور في وجهي ..

وتطلب الي ان أذهب الى الجحيم ؟.

فتنهد نيفيل ، ونظر الى السماء مستنجداً ، ودار على قدميه ، وغادر الغرفة

- ٣ -

قالت الليدي تريسليان :

- انك تبدو تماماً كما كنت في السابعة عشرة من عمرك يا توماس .. نفس الوجوم .. ونفس الصمت .. ولكن لماذا ؟.

- لا أعلم .. اني لم أكن قط متحدثاً بارعاً .

- على عكس ادريان .. كان ذلق اللسان سريع الخاطر .

- لعل ذلك هو السبب .. فقد كنت أصغي اليه اكثر مما أتكلم .

- مسكين أدريان !. كان أمامه مستقبل عظيم .

فاطرق توماس برأسه وسارعت الليدي الى تغيير مجرى الحديث .

ولم يكن بالغرفة سواهما .. فقد اعتادت الليدي ان تقابل ضيوفها فرادى.

قالت :

- انك جئت منذ اربع وعشرين ساعة ... فماذا ترى في الموقف .

- الموقف ؟.

- لا تتظاهر بالبلاهة .. أنت تعرف جيداً ما أعني .. انني أشير إلى المثلث الأبدي الذي استقر بين ظهرانينا .

فقال في حذر :

- أخشى أن يحدث احتكاك ..

- دعني أعترف لك بأنني أجد في الموقف ما يبعث على التسلية ، لقد بذلت قصارى جهدي لأحول دون اجتماع هؤلاء الثلاثة هنا . ولكن نيفيل كان عنيداً ، وأصر على أن يجمع بين زوجتيه وها هو يحصد ما زرع

– لم أكن أتوقع ان يفعل نيفيل شيئاً كهذا .

– من العجب أن ذلك كان رأيي أيضاً .. فهذا عمل لا يقدم عليه رجل له خلق نيفيل وطباعه . ان الرجال يحرصون عادة على تجنب المواقف المحرجة .. ولذلك أعتقد ان نيفيل ليس صاحب الفكرة أصلاً . ترى هل هي فكرة أودري ؟.

– كلا .. بتاتاً .

– انها كذلك لا يمكن أن تكون فكرة كاي ، إلا اذا كانت هذه الفتـاة ممثلة بارعة .

– يخيل إلي انك لا تحبينها .

– كلا . فانني أراها فتـاة تافهة ضحلة التفكير ، ولكني بدأت أرثي لها فهي تتخبط وتتصرف دون وعي. ولا تعرف أي سلاح تستخدم سوى الغضب والخشونة ونفـاد الصبر وهي أسلحة تحدث أثراً عكسياً في نفس رجل مثل نيفيـل .

– أظن أن أودري هي الشخص الوحيد الذي يجد نفسه في مركز دقيق .

فحدجته الليدي بنظرة خبيثة وقالت :

– انك كنت دائماً تحب أودري .. أليس كذلك يا توماس ؟.

– هي انني كنت أحبها .

– وكنت تحبها منذ الطفولة .

فاطرق برأسه علامة الايجاب .

قالت :

– ثم جاء نيفيل وخطفها منك .

فتحرك في مقعده بقلق وقال :

– كنت أعلم دائماً ألا أمل لي .

– يا لك من انهزامي !.

- كانت أودري دائماً تدعوني (توماس الطبيب) .
- بل كانت تدعوك (توماس المخلص) ..

فرسمت ذكريات الطفولة على شفتيه ابتسامة سعيدة ، وغمغم قائلاً :

- انني لم أسمع هذا الاسم منذ سنوات عديدة .

فقالت الليدي :

- ان الاخلاص فضيلة تقدرها المرأة التي مرت بمثل التجارب التي مرت بها أودري .. وكل مخلص لا بد في النهاية أن يجني ثمرات اخلاصه .
- ذلك ما كنت أرجوه عندما جئت إلى هنا .

- ٤ -

لم تكن فترات الصمت التي تخيم عليهم في غرفة الطعام أمراً غير مألوف .. بيد أن صمتهم في ذلك المساء طال اكثر مما ينبغي ، وأحست ماري ايلدن بالتوتر والحرج اللذين يسودان جو الغرفة فقالت لتقطع حبل الصمت :

- لقد دعوت صديقك مستر لاتيمر لتناول طعام العشاء معنا غداً يا كاي .

فقال كاي :

- حسناً فعلت .

وقال نيفيل :

- لا تيمر ؟ . هل هو هنا ؟ .

فأجابت كاي :

- انه يقيم بفندق ايسترهيد .

فقال نيفيل :

- إذن يجب أن نتناول العشاء هناك ذات ليلة .. متى ينتهي عمل قوارب عبور النهر كل ليلة ؟ .

فأجابت ماري :

ـ في الساعة الواحدة والنصف صباحاً .

ـ أظن أنهم يقيمون حفلات راقصة في ذلك الفندق ؟.

فقالت كاي :

ـ ان اكثر نزلائه تتراوح اعمارهم بين الثمانين والمائة .

ـ إذن فان الجو هناك ليس مسلياً لصديقك .

فقالت ماري بسرعة :

ـ لماذا لا نذهب ذات يوم للاستحمام في خليج (ايسترهيد) ؟. ان الماء هناك دافىء والشاطىء رملي جميل .

فقال توماس رويد محدثاً أودري بصوت خافت :

ـ كنت أفكر في القيام بنزهة بحرية غداً فهل تأتين معي ؟

ـ انني أرحب بمثل هذه النزهة .

فقال نيفيل :

ـ لنتنزه جميعاً في القوارب غداً .

فقالت له كاي :

ـ كنت أظنك ستلعب الجولف غداً .

ـ ذلك ما كنت أريده فعلا ، ولكني تذكرت انني لم أكن في لياقتي كاملة في المدة الأخيرة .

فقالت كاي ساخرة :

ـ يا لها من مأساة !.

ولكن نيفيل تقبل سخريتها بصدر رحب وقال ضاحكاً :

ـ ان الجولف لعبة حافلة بالمآسي .

وخشيت ماري ايلدن أن يتطور الحوار بين الزوجين إلى تراشق بالألفاظ فقالت بسرعة :

– هل تلعبين الجولف يا كاي ..
– نعم .. ولكني لا أجيده .

فقال نيفيل :
– ان كاي تستطيع التفوق في هذه اللعبة إذا بذلت بعض الجهد ..
فالتفتت كاي الى أودري وسألتها :
– هل لك أية هواية رياضية ؟.
– انني أهوى التنس ولكني لا أجيد اللعب .

فقال توماس :
– هل ما زلت تعزفين على البيانو يا أودري ؟
فهزت رأسها وأجابت :
– ليس في هذه الأيام .
فقال نيفيل :
– ولكنك كنت بارعة في العزف .

فقالت كاي لزوجها :
– كنت أظن انك لا تحب الموسيقى يا نيفيل .
– أنا لا أعرف عنها الكثير . ولكني طالما أعجبت ببراعة أودري العزف على البيانو رغم صغر يديها .

قال ذلك ونظر الى يدي أودري وهي تضع السكين الى جانب صحف الفاكهة . فاحمر وجه اودري وقالت بسرعة :

– ان يدي صغيرة .. ولكن خنصري طويل جداً .. وأعتقد انه يساعدني في العزف .

فقالت كاي :

– أنت إذن أنانية .. ان طول الخنصر دليل على الأنانية .

فقالت ماري ايلدن :

– أحقاً ؟.. لا بد إذن انني لست أنانية ، ان خنصري قصير جداً .

فقال توماس رويد وهو ينظر اليها بجدة :

– أظن انك لست أنانية اطلاقاً .

فاحمر وجهها وقالت بسرعة :

– دعونا نرى أينا أكثر انكاراً لذاته . فلنقارن خناصرنا .. ان خنصري أقصر من خنصرك يا كاي .. ولكني أظن ان توماس يتفوق علي .

فقال نيفيل :

– انني أتفوق عليكم جميعاً . انظروا .

ومد احدى يديه فقالت كاي :

– انك تتفوق بيد واحدة ، فان خنصر يدك اليسرى قصير ، أما خنصر يدك اليمنى فأطول كثيراً .

فسألتها ماري ايلدن :

– هل تقرئين الكف يا كاي ؟.

ومدت اليها يدها واستطردت قائلة :

– قال لي أحد العرافين انني سأتزوج مرتين وسأرزق بثلاثة اولاد . فاذا صح ذلك فيجب أن اتعجل الزواج .

فقالت كاي وهي تنظر في يد ماري :

– هذه الصلبان الصغيرة تدل على عدد الرحلات . لا على عـدد الاولاد ، انك ستقومين بثلاث رحلات عبر البحار .

فقالت ماري إيلدن ·

– وهذا أيضاً بعيد الاحتمال .

فسألها توماس رويد :

– هل سافرت كثيراً ؟.

- كلا

وكان في صوتها رنة أسف فقال لها :

- هل تودين السفر ؟.

- بل انني أتمناه أكثر من أي شيء آخر .

- هل أقمت مع الليدي تريسليان مدة طويلة ؟

- منذ خمسة عشر عاماً، اقمت معها عقب وفاة أبي ، وقد ظل ابي مريضاً طريح الفراش عدة أعوام قبل وفاته .

وصمتت قليلا ، ثم أجابت على السؤال الذي أحست بأنه يفكر فيـــه .. قالت :

- انني في السادسة والثلاثين من عمري . اليس هذا ما أردت معرفته ؟

- الواقع انه يتعذر على من يراك ان يقدر سنك .

- هذه ملاحظة لها حدان .

- أعتقد ذلك ولكني لم اتعمدها .

ولم يحول عينيه عن وجهها ، ولم تشعرها نظراته بالحرج او الإرتبـاك ... وعندما استقرت عيناه على شعرها ، رفعت يدها الى الخصلة البيضاء وقالت :

- هذه يرجع عهدها الى ايام الصبا

فقال ببساطة :

- انها تعجبني .

وظل ينظر اليها ، فقالت وهي تبتسم :

- والآن .. ما حكمك النهائي ؟.

فاحمر وجهه وأجاب :

- أظن انه لم يكن من الكياسة أن انظر اليك على هـــذا النحو ، ولكني كنت أود أن اعرفك على حقيقتك

فنهضت عن المائدة . وقالت وهي تسير الى قاعة الاستقبال متأبطـــة

ساعد اودري :

– ان مستر تريفز سيتناول العشاء معنا غداً .

فقال نيفيل :

– ومن يكون مستر تريفز هذا ؟.

– انه محام عجوز يقيم بفندق بالمورال ، وقد جاء برسالته تعريف من مستر رافاس لورد، وهو مريض بالقلب وضعيف البنية ولكنه حاضر البديهة ويعرف كثيراً من الشخصيات الهامة .

– ٥ –

كان الطعام شهياً والنبيذ جيداً ، والخدمة لا غبار عليها ، مما جعل مستر تريفز يغبط الليدي تريسليا في سره على توفيقها مع خدمها ، فقد كان كل شيء يجري بنظام رغم مرض صاحبة القصر .

ودار مستر تريفز ببصره بين الضيوف ، واستقرت عيناه على الصبية الفاتنة زوجة نيفيل سترينج .

كان جمالها يتألق في ضوء الشموع التي تنير قاعة الطعام وكانت تدني رأسها بين الفينة والفينة من رأس إدوارد لاتيمر الذي يجلس بجوارها وتضحك في سرور ومرح وتدير البصر فيمن حولها كما تفعل المرأة التي تثق بنفسها وتشعر بأنها سيدة الحفل .

وأحس مستر تريفز أمام هذه الفتنة الطاغية والحيوية المتدفقة بأن دم الشاب يجري في عروقه من جديد ، وقال لنفسه :

– لا عجب إذا كان زوجها قد فقد صوابه وهجر زوجته الأولى .

وكانت أودري تجلس بجواره ، وقد أحس لأول مرة بأنها سيدة مهذبة على خلق عظيم .. ولكنه كان يعلم بخبرته أن هذا النوع من النساء هو الذي

يهجر الأزواج .

نظر اليها من ركن عينه ، ورآها مطرقة برأسها تنظر الى الطبق أمامها دون أن تحرك ساكناً . وتساءل ترى فيم تفكر ؟.

وشرع الضيوف في الانتقال من قاعة الطعام الى غرفة الاستقبال ، وأدارت كاي الجرامافون ليرسل أنغام موسيقى احدى الرقصات . فالتفتت ماري إيلدن الى مستر تريفز وقالت معتذرة :

ـ لا شك انك تكره موسيقى الجاز .

فقال كاذباً ولكن في أدب :

ـ كلا .. اطلاقاً .

ـ سنلعب البريدج ، ولكن فيما بعد ، فأنني أعلم ان الليدي تريسليان سترسل في طلبك .

وكانت كاي تتهادى في وسط الغرفة ولم تلبث ان قالت بلهجة الأمر ، وعيناها تتألقان :

ـ انقل هذه المائدة من هنا يا نيفيل .. حتى يتهيأ مكان للرقص .

فأطاع نيفيل ، ونقل المائدة من مكانها ، ثم تقدم نحو كاي ، ولكنها أعرضت عنه عمداً ، وقالت :

ـ تعال يا إدوارد . دعنا نرقص .

فخف اليها إدوارد على الفور ، وأحاط خصرها بساعده ، ورقص الاثنان معاً رقصة تناسقت فيها خطواتها وحركاتها تناسقاً أثار الأعجاب ، وحمل مستر تريفز على أن يتمتم قائلاً :

ـ ما أروع رقصهما ... كأني بهما من المحترفين .

وسمعته ماري ايلدن ، ونظرت الى وجه المجوز ، لعلها تفهم ماذا عني بعبارته .. ولكن العجوز كان مستغرقاً في التفكير .

قالت لكي تخرجه من صمته

– ان الجو دافيء بالنسبة لهذا الشهر من السنة اليس كذلك ؟.

فقال :

– آه .. حقاً .. رغم ان المزارعين في هذه المنطقة بحاجة الى الامطار . هكذا قيل لي في الفندق .

– هل أنت راض عن الاقامة في فندقك ؟.

– نعم . رغم انني تضايقت كثيراً عندما .

ولم يتم عبارته . فقد رأى نيفيل ينهض من مقعده ويتردد لحظة ثم يقترب من أودري التي كانت تطل من النافذة ..

وهناك قال لها في أدب وبصوت فاتر :

– هل ترقصين يا اودري .

فترددت اودري قليلاً قبل ان تطرق برأسها موافقة ، وصال الاثنان بضع دقائق ، وفجأة قالت اودري وهي تضحك .

– ان الحر شديد ولا يشجع على الرقص

وابتعدت عن نيفيل وخرجت الى الشرفة . فغمغمت ماري إيلدن :

– اتبعها أيها الغبي !!.

وعلى الرغم من ان صوتها كان خافتاً ، فقد سمعها مستر تريفز ونظر اليها في دهشته فارتبكت واحمر وجهها وقالت ضاحكة :

– كنت أفكر بصوت مرتفع . فان بطأه يغيظني

– من تعنين ؟. مستر سترينج ؟.

– كلا .. أعني توماس رويد

وهم توماس باللحاق بأودري في الشرفة ولكن نيفيل سبقه اليها .

وأرسل مستر تريفز بصره الى الشرفة لحظة ثم رده الى الراقصين وقال :

– ان مستر لاتيمر راقص بارع .. هل هو صديق قديم لمستر سترينج ؟..

ـ نعم .
ـ هل يزاول هذا الشاب الأنيق الوسيم عملاً ما ؟.
ـ الحق انني لا أعلم .
فهز مستر تريفز رأسه مراراً بطريقة لها مغزاها ، واستطردت ماري إيلدن قائلة :
ـ انه يقيم بفندق ايسترهيد .
ـ ان رأسه بارز الى الخلف على نحو يلفت النظر ، ولكنه يحاول ان يحجب هذا البروز بطريقته الخاصة في تصفيف شعره .
وصمت قليلاً ، ثم استطرد قائلاً :
ـ آخر رجل رأيت له مثل هذا الرأس حكم عليه بالاشغال الشاقة لاعتدائه على تاجر مجوهرات عجوز .
ـ لا شك انك لا تعني ..
فقاطعها قائلاً بسرعة :
ـ كلا . على الأطلاق .. انك تسيئين فهمي . فما قصدت التعريض بأحد ضيوفك إنما أردت ان اقول ان المجرم العتيد والشاب الأنيق الظريف يمكن ان يشتركا في بعض الصفات الجسدية .
فنظرت اليه طويلاً . وقالت .
ـ إنك تخيفني يا مستر تريفز .
ـ احقاً ؟.. ولماذا يا سيدتي العزيزة ؟.
ـ انك قوي الملاحظة .. ولا يفوتك شيء .
ـ الواقع ان عيني لم يدركها ضعف او وهن .. ولا ادري هل ذلك من حسن الحظ أو من سوئه .
ـ كيف يمكن ان يكون ذلك من سوء الحظ ؟.
ـ ان قوة الملاحظة تضع الانسان احياناً في موقع المسؤولية ، حيث يتعذر عليه اتخاذ القرار السليم

وفي هذه اللحظة دخل كبير الخدم حاملاً اقداح القهوة فأومأت اليه ماري إيلدن بأن يضعها على احدى الموائد ..

وقالت كاي وهي تراقص لاتيمر :

– سأتناول القهوة بعد الفراغ من هذه الرقصة .

وقالت ماري :

– سأحمل الى اودري قدحاً .

وحملت القدح وسارت به الى الشرفة وتبعها مستر تريفز وأطل من فوق كتفها ، فرأى اودري جالسة على حاجز الشرفة ، واشعة القمر تضيء وجهها وتبرز جمال تقاطيعه ونبل قسماته .

كانت ساكنة صامتة لا تأتي بحركة ولا تنطق بكلمة .. ونيفيل على كثب منها يتفرس في وجهها ولا يحول عينيه عنها .

وأخيراً خطا نيفيل خطوة الى الأمام وبدأ يتكلم .

قال :

– الحق يا اودري ، انك .. ولكنها وضعت اصبعها على اذنها ووثبت من مكانها فجأة وهي تقول :

– قرطي .. لقد اضعت قرطي ..

– اين ؟.

وانحنى الاثنـان للبحث عن القرط ، وارتطم رأسها وتراجعت اودري على الفور فصاح نيفيل :

– صبرا لحظة ، لقد اشتبك زر كمي بجدائل شعرك ، لا تتحركي ، وأخذ يحاول تخليص شعرها من زر الكم ، فقالت بعد قليل :

- اسرع .. وكن على حذر ، انك تقتلـع شعري من جذوره .

– أنا آسف يا اودري .

وفي ضوء القمر الساطع ، رأت ماري إيلدن ومستر تريفز أن اصابع نيفيل

ترتجف بشدة وهو يحاول فصل زر كمه من شعر اودري .

وفي هذه اللحظة .. شق توماس رويد طريقه بين ماري وتريفز ومضى الى حيث كان نيفيل واودري وقال :

– هل تسمحان لي بمساعدتكما ؟..

فقال نيفيل :

– شكراً .. لقد نجحت أخيراً .

ورفعت أودري رأسها وتراجعت قليلا .

ولاحظ توماس ان رجفة مرت بجسدها فقال لها :

– هل تشعرين بالبرد ؟. هلمي الى الداخل لتتناولي قهوتك .

ورافقها الى قاعة الاستقبال في اللحظة التي فتح فيها باب القاعة، ودخلت امرأة طويلة القامة ترتدي ثوباً أسود .

قالت المرأة باحترام :

– يسر الليدي تريسليان ان تستقبل مستر تريفز في غرفتها .

كان سرور الليدي تريسليان بلقاء مستر تريفز واضحاً . ولم تمض بضع دقائق على اجتماعهما حتى كانا يخوضان معاً في خضم الذكريات .

وأخيراً تنهدت الليدي بارتياح وقالت :

– لقد امتعني حديثك يا مستر تريفز . فليس أجمل من الحديث عن الماضي . وإزالة الغبار عن الفضائح القديمة .

فقال تريفز

– ان الحديث عن فضائح الناس وان يكن خطيئة . إلا انني أعده من توابل الحياة .

– بهذه المناسبة يا مستر تريفز . ما رأيك في انموذجنا الطريف من المثلث الأبدي ؟

فنظر اليها في فضول وسأل

– اي مثلث ؟

ـ لا تزعم انك لم تلاحظ شيئاً . انني أعني نيفيل سترينج وزوجتيه .
ـ آه .. ان مسز سترينج الجديدة سيدة رائعة الجمال .
ـ وكذلك أودري .
ـ نعم .. انها ظريفة .
ـ هل تريد ان تقول انك تجد مبرراً لأن يترك الرجل امرأة ذات شخصية نادرة .. مثل أودري . من أجل مخلوقة مثل كاي ؟.
فأجاب بهدوء :
ـ نعم .. ذلك يحدث غالباً .
ـ لو انني كنت رجلاً لسئمت كاي بعد وقت قصير ولندمت على حماقتي .
ـ وذلك أيضاً يحدث غالباً . ان الافتتان الفجائي قلما يعمر طويلاً .
ـ وماذا يحدث بعدئذ ؟.
ـ يحدث عادة أن يحدد كل من الطرفين موقفه .. وغالباً ما يقع الطلاق ، ويتزوج الرجل للمرة الثالثة . من امرأة تعطف عليه .
ـ هراء !. ان نيفيل ليس من هواة تعدد الزوجات .
ـ يحدث احياناً أن يعود الزوج الى زوجته الأولى
فهزت الليدي رأسها وقالت :
ـ كلا . ان كبرياء اودري وكرامتها يحولان دون ذلك
ـ لقد عرفت من خبراتي أن المرأة تتنكر لكل اعتبارات الكرامة فيما يتصل بالحب . انها تتشدق بالكرامة ولكنها لا تقيم لها وزناً في تصرفاتها .
ـ أنت لا تعرف أودري ، انها كانت تحب نيفيل حباً عنيفاً ، فلما هجرها من أجل الفتاة ـ ولست ألومه على ذلك كل اللوم فقد طاردته الفتاة بالحاح حتى اقتنصته ـ أكدت انها لا تريد أن تراه مرة أخرى
فسعل مستر تريفز بهدوء وقال :
ـ ومع ذلك فانها قدمت إلى هنا .

– لست أزعم انني أفهم الأفكار الحديثة . ولكني أعتقد أن أودري انما جاءت الى هنا لكي يعلم الجميع انها لا تحفل بنيفيل .

– ربما .. ولكني أشعر بأن في الجو قلقاً وتوتراً ..

– هل شعرت بذلك أنت أيضاً ؟.

– انني لا أعرف أحاسيس الأطراف ذات الشأن ، ولكني أشعر كأن في هذا القصر برميل بارود يمكن أن ينفجر في أية لحظة .

– دعك من الاسراف في التشاؤم وحدثني . ماذا ينبغي أن أفعل ؟. انني لن اطالب أودري بالرحيـل ، فقد كان سلوكها في هذا الموقف الدقيق سليماً ومهذباً ، ولا غبار عليه .

– هذا صحيح . ولكن سلوكها رغم استقامته .. له تأثيره الواضح على نيفيل سترينج .

– ان نيفيل سيء التصرف، وسوف أصارحه بذلك .. ولكني لا استطيع أيضاً ان اطالبه بالرحيل فقد كان ماتيو يعتبره كأبنه .

– أعلم ذلك .

– وهل تعلم ان ماتيو مات غرقاً ؟.

– نعم .

– لقد دهش الكثيرون لانني لم انتقل من هذا القصر بعد وفـــاة ماتيو .. ولكني في الواقع أشعر بماتيو على مقربة مني هنا . ان القصر مليء به .. ومن المحقق انني سأشعر بالوحدة والعزلة اذا أقمت في أي مكان آخر .

كنت أرجو في البـداية أن الحق به بسرعة ، خاصة حين اعتلت صحتي ، ولكن يبدو انني من اولئك المرضى المؤبدين الذين لا يموتون أبداً .

وتنهدت بحزن واستطردت قائلة :

– كنت أتمنى ، متى حانت ساعتي ان أرى الموت وجهاً لوجه ، لا أن أشعر به يتسلل من ورائي فأهبط الى درك أدني عقب كل مرض حتى أصبح

عالة على الآخرين

– أنت لست عالة على أحد .. الجميع هنـا يخلصون لك . هل لديك وصيفة أمينة ؟.

– لدي جين باريت .. المرأة الطويلة التي استدعتك لمقابلتي . انها حازمة ومخلصة .. وقد قضت في خدمتي سنوات عديدة .

– من حسن حظك ان لديك كذلك مس ماري ايلدن .

– أصبت .. وأنا سعيدة بوجودها معي .

– هل هي إحدى قريباتك ؟.

– انها تنتسب الى اسرتي من بعيد ، ومن ابرز صفاتها انكار الذات . فهي من اولئك الذين يضحون بحياتهم من أجل الآخرين .. كانت تعني بأبيها المريض فلما مات رجوتها ان تقيم معي ، واني أبارك اليوم الذي جاءتني فيه . انهـا ذكية ورزينة وواسعة الاطلاع ، وفي استطاعتها ان تناقش اي موضوع يطرح للبحث . وهي فضلاً عن ذلك مدبرة من الطراز الأول . تعرف كيف تسوس الخدم دون ان تثير عوامل الخلاف والغيرة بينهم .. واني لأعجب كيف تستطيع ذلك .. لا شك انها على جانب كبير من الكياسة .

– هل تقيم معك منذ وقت طويل ؟.

– منذ نحو ثلاثة عشر او أربعة عشر عاماً .

وهنا أطرق مستر تريفز برأسه .. ونظرت اليه الليدي تريسيليان من ركن عينها خلسة ثم قالت بغتة

ماذا بك ؟ هل هناك ما يشغلك ؟

– كلا كنت افكر في امر تافه ولكنك قوية الملاحظة يا سيدتي .

– انني مولعة بدراسة النـاس وكنت دائماً ألاحظ ماتيو وأعرف ما يدور بخلده .

ثم تنهدت واستلقت على فراشها وقالت

– يجب ان اودعك الآن أيها الصديق فانني متعبة .
ولكنك أمتعتني بهذا اللقاء .. وأرجو أن اراك مرة أخرى قريباً .
– ثقي بأنني سأستغل كرم ضيافتك ورحابة صدرك وكل ما أرجـــو ألا أكون قد أثقلت عليك بالحديث .
– كلا . كلا .. انني دائماً أشعر بالتعب فجأة ، هل لك أن تدس الجرس قبل أن تنصرف ؟
وأشارت الى شريط يتدلى فوق الفراش فقال مستر تريفز :
– هذا النوع من الإجراس قد عفا عليه الزمن .

– انني لا أطيق الأجراس الكهربائية ، فهي سريعة التلف ، اما هـــذا النوع من الأجراس فانه لا يعطب أبداً، انني أجذب هذا الشريط فيدق الجرس المتدلي فوق فراش جين باريت . فتلبي دعوتي دون ابطاء .
فجذب مستر تريفز الشريط وغادر الغرفة . وما كاد يسير بضــع خطوات حتى رأى جين باريت تهبط درج السلم مسرعة .

* * *

وعاد تريفز الى قاعة الاستقبال ، وما أن ابصرت به ماري إيلدن حـــتى اقترحت ان يلعب الجميع البريدج . ولكن المحامي العجوز رفض بأدب بحجـة أنه سينصرف بعد قليل .

– قال : ان أصحاب الفندق الذي أقيم فيه يطالبون النزلاء بالعودة قبـل منتصف الليل .

فقال نيفيل :
– ولكن الساعة الآن العاشرة والنصف، هل تتوقع ان يوصدوا باب الفندق قبل عودتك .

ـ كلا ، بل وأشك في انهم يوصدونه في أي وقت .. انهم يغلقون الباب وما على القادم إلا ان يحرك المقبض ويدخل .. ويخيل إلي أن أهل هـذه المنطقة قوم أمناء .

فقالت ماري إيلدن :

ـ الواقع أن لا احد هنا يغلق بابه نهاراً ، ان بابنا يظل مفتوحاً طول النهار ولكننا نوصده أثناء الليل .

فقال ادوارد لاتيمر :

ـ كيف الحال في فندق بالمورال ؟ ان مبناه يبدو شديد الكآبة .

فقال تريفز .

ـ ولكنه يجمع كل وسائل الراحة ، اسرة كبيرة . وطعام جيد .ودواليب ضخمة ، وحمامات فسيحة ..

فقالت ماري إيلدن :

ـ أذكر انك قلت ان شيئاً ما قد ضايقك عندما ذهبت الى هذا الفندق.

ـ الواقع ... انني كتبت اليهم طالباً أن يحجزوا لي غرفتين بالطابق الأرضي لأنني مريض بالقلب ومحظور عليّ أن ارقى السلم ، وعندما ذهبت الى الفندق وجدت أن جميع الغرف بالطابق الأرضي مشغولة . وانهم حجزوا لي غرفتين بالطابق الثاني . فكدت أن احتج وأعود من حيث أتيت ولكني وجدت أن بالفندق مصعداً مريحا ..

فقالت كاي :

ـ لماذا لا تقيم في فندق بالمورال يا إدوارد لكي تكون اقرب الينا ؟.

فأجاب الشاب :

ـ انه فندق عتيق ولا أظنه يلائمني .

فقال تريفز :

ـ أصبت يا مستر لاتيمر ، انه لا يلائم امثالك .

فاحمر وجه الشاب وقال :

– ماذا تعني يا سيدي ؟..

وأشفقت ماري إيلدن من ان يتطور الحوار بين الرجلين فقالت بسرعة :

– قرأت انهم اعتقلوا أحد الاشخاص في قضية الحقيبة التي عثر عليهـا في (كنتش تاون) وبها جثة فتاة ..

فقال نيفل :

– هذا ثاني شخص يعتقلونه وقد ثبتت براءة الأول ، فأرجو أن يكـونوا قد وفقوا الى الفاعل الحقيقي هذه المرة .

فقال مستر تريفز :

– حتى لو كان هو الفاعل الحقيقي فانهم لن يستطيعوا اعتقاله طويلاً .

فسأله رويد :

– لماذا ؟..

لعدم كفاية الأدلة ؟..

– نعم .

فقالت كاي

– انهم يجدون الأدلة دائماً في النهاية .

فقال تريفز :

– ليس دائماً يا مستر سترينج . وسوف تدهشين إذا عرفت عدد الاشخاص الذين ارتكبوا جرائم قتل .. ومـا زالوا يعيشون أحراراً لا يعترض طريقهم أحد .

– لأن أحداً لا يعرف انهم الفاعلون ؟

– ليس ذلك فقط ..

وضرب مثلاً بقضية شغلت الرأي العام منذ سنتين فقال :

– ان البوليس يعرف الرجل الذي قتل اولئك الاطفال . بل ويعرفه على وجه اليقين ولكنه لا يستطيـع حياله شيئاً ، فقد شهد شخصان بـأن المتهم

كان بعيداً عن مكان الجريمة وقت حدوثها ، وعلى الرغم من ان البوليس يعلم انهما شاهدا زور إلا أنه لم يستطع اقامة الدليل على ذلك ..وما زال القاتل حراً طليقاً :.

فدق توماس رويد غليونه وقال :

– هذا يؤيد فكرة جالت بخاطري ، هي انه يحق للانسان في ظروف معينة ان يجعل من نفسه قاضياً وجلاداً وينفذ حكم العدالة بنفسه .

– ماذا تعني يا مستر رويد .

– هب انك علمت ان رجلا ارتكب عملا يخالف القانون ، وان القانون لا يستطيع النيل منه لسبب أو لآخر . أفلا يجوز لك أن تقتص منه بنفسك؟

– هذا مبدأ شديد الخطورة يا مستر رويد .

– انني افترض ان الحقائق ثابتة .. وان القانون عاجز .

– ذلك لا يبرر أن يقوم الفرد بوظيفة القانون .. انني اعرف قضية .

وصمت لحظة ثم استطرد معتذراً :

– انني من هواة علم الجريمة .

فقالت كاي :

– امض في حديثك يا مستر تريفز .. ماذا أردت ان تقول ؟..

– لقد مر بي كثير من قضايا الجرائم .. كان عدد ضئيل منها جديراً بالاهتمام وسأحدثكم الآن عن احداها .

ثم راح يتكلم ببطء ووضوح .. قال :

– القضية التي سأحدثكم عنها بطلها طفل .. ولن اذكر اسمه أو سنه .. واليكم الحقائق :

كان طفلان يلعبان بالأقواس والسهام ، فأطلق أحدهما سهما أصاب الآخر في مقتل وصرعه على الفور .

وجرى تحقيق مع الطفل ، ولكنه كان في حالة يرثى لها من الحزن

والأسى والأسف بحيث أصبح موضع عطف الجميع .

وصمت مستر تريفز فصاح لاتيمر :

— وانتهى الأمر ؟

-- نعم .. انتهى الأمر .. كان حادثاً يؤسف له وقع قضاء وقدراً .. ولا حيلة للقانون فيه . ولكن كان للقصة وجه آخر .. فقد حدث قبل ذلك ببضعة أيام ان كان احد المزارعين يمر بغابة قريبة فشاهد طفلاً يتدرب على استعمال القوس والسهم .

وصمت تريفز مرة أخرى ليسمح لعقول السامعين باستيعاب هذه الحقيقة.

فهتفت ماري :

— هل تعني ان الحادث لم يكن قضاء وقدراً ، وإنما كان متعمداً ؟ .

— لا أعلم .. ولا استطيع أن اقطع برأي .. فلقد قيل في التحقيق أن الطفلين لم تكن لها دراية باستخدام الأقواس والسهام . وان الحادث وقع نتيجة لذلك .

— وما قيل لم يكن صحيحاً ؟

— لم يكن صحيحاً بالنسبة الى أحد الطفلين على الأقل .

فقالت أودري بصوت خافت :

— وماذا فعل المزارع ؟.

— لم يفعل شيئاً . ولست أدري هل اخطأ بذلك أم أصاب .. كان مستقبل الطفل المتهم في خطر .. ولعل المزارع قد رأى أن من حق الطفل ان يمنح فرصة الأفادة من الشك .. لأن المزارع لم يكن واثقاً من ان الطفل الذي رآه في الغابة هو نفس الطفل المتهم .

فقالت أودري :

— وأنت ؟.. هل خامرك أي شك في حقيقة ما حدث فعلاً ؟.

— انا شخصياً أعتقد ان الحادث كان جريمة قتل بارعة ، دبرت بمهارة ،

وتمت دراستها جيداً قبل تنفيذها .

ـ وهل كان لها سبب ؟

ـ كان سببها المماكسات والألفاظ غير الكريمة التي يتبادلها الاطفال .

فتثير كراهية بعضهم لبعض .. ان الكراهية تتولد في نفوس الأطفال بسهولة .

فقالت ماري :

ـ ولكن تدبير الجريمة .. والأصرار على تنفيذها ؟.

ـ نعم .. تدبير الجريمة .. ونية القتل .. والتدريب يوماً بعد يوم على على اطلاق السهم واصابة الهدف . ثم التظاهر بالحزن واليأس بعد الجريمة . كلها أمور لا يمكن أن يصدقها عقل .. ولو قد طرحت أمام المحكمة لما صدقتها .

فسألت كاي في فضول :

ـ وماذا كان مصير هذا الطفل ؟.

ـ بعد الضجة التي أثيرت في الصحف حول القضية ، رأي أهل الطفل ان من الافضل تغيير اسمه .. وتم لهم ذلك ، وقد اصبح الطفل الآن رجلا ناضجاً يعيش في مكان ما على سطح هذه الأرض .. ولكن المسألة الآن .. هي هل لا يزال يحتفظ بنزعاته الاجرامية ؟.

وأطرق مستر تريفز برأسه مفكراً ، ثم استطرد قائلا :

ـ لقد مضت سنوات عديدة . ولكني أستطيع التعرف على القاتل الصغير حالما يقع عليه بصري في اي مكان .

فهتف رويد بلهجة من لا يصدق ما سمع :

ـ أيمكن هذا ..

فأجاب تريفز :

ـ نعم .. فان في جسده علامة مميزة .. ولكن دعنا من الحديث في هذا الموضوع .. انه ليس من الموضوعات السارة .. أظن انني يجب ان اعود الى فندقي الآن .

ونهض واقفاً فقالت ماري :
– ألا تتناول شيئاً من الشراب يا مستر تريفز ؟.
وكانت صفحة الشراب على المائدة ، فقال توماس رويد ..
– هل لك في قدح من الوسكي يا مستر تريفز ؟. وانت يا مستر لاتيمر ؟.
وقالت أودري :
– انني متعبة .. ساذهب لانام .
وقالت ماري :
– وأنا أيضاً .. ارجوك العناية بمستر تريفز يا توماس .
وقالت كاي وهي تتثاءب :
– أكاد ان اسقط من الأعياء .. طاب مساؤكم .
وانصرفت النساء الثلاث ، وقال لاتيمر يحدث مستر تريفز :
– سـأسير معك في نفس الطريق يا مستر تريفز .. لأنه يؤدي الى حيث يوجد زورق العبور .
– سوف يسرني ان أكون برفقتك يا مستر لاتيمر .
وقضى تريفز اللحظات التالية في ارتشاف الويسكي والاستفسار من توماس رويد عن الحياة في الملايو ..ولم يلبث لاتيمر ان احس بالسأم فاستأذن للخروج الى الشرفة حيث كان نيفيل وشيعه تريفز ببصره حتى خرج ثم قال :
– هذا الشـاب كثير الحركة ولا يقر له قرار .. هل هو صديق لمستر سترينج ؟.
فقال رويد مصححاً :
– لمسز كاي سترينج .
– هذا ما اعنيه ... فانه ليس الطراز الذي ترتضيه مسز أودري سترينج صديقاً .. هل انت صديق لمسز اودري يا مستر رويد ؟.
– نعم ..

ـ لا بد انها كانت على جانب كبير من الجمال وهي شابة .

فاطرق توماس برأسه ولم يجب .

قال المحامي الشيخ :

ـ ان وجود الزوجتين تحت سقف واحد يضع أودري في مركز دقيق

فقال توماس وقد احمر وجهه :

ـ بل غاية في الدقة والحرج .

فانحنى تريفز الى الأمام وقال بحدة :

ـ ولماذا جاءت يا مستر رويد ؟.

ـ أعتقد انها .. انها لم تشأ ان ترفض .

ـ ترفض ماذا ؟.

ـ الوقع انها اعتادت القدوم الى هذا القصر في شهر سبتمبر من كل عام .

ـ ورغم ذلك اقدمت الليدي تريسيليان على دعوة نيفيل وزوجته الجديدة للاقامة عندها في نفس الشهر ؟.

ـ اعتقد ان نيفيل هو الذي طلب ذلك .

ـ تعني انه كان يرغب في هذا اللقاء بين الزوجتين ؟

ـ هذا ما أظنه .

وفي هذه اللحظة أقبل نيفيل ولاتيمر من الشرفة فقال تريفز وهو ينهض :

ـ أظن انني يجب ان أنصرف ..

قال ذلك وارتدى معطفه وودع نيفيل ، وغـــادر البيت في طريقه الى فندق بالمورال وبرفقته ادوارد لاتيمر وتوماس رويد .

وكان الفندق يقع على مسافة مائة متر ، بينما كان مرفأ زورق العبور يبعد نحو ثلثمائة متر .

ففتح تريفز باب الفندق ودخل وتبعه الرجلان . وكان البهو معتماً لا يضيئه سوى مصبـــاح واحد صغير . وفجأة ، افلتت من تريفز آهة تدل على

الضيق ، فقد رأى على باب المصعد ورقة كتب عليها :
« المصعد معطل » .
قال المحامي العجوز :
ــ يا الهي !. يجب ان اصعد كل هذه الدرجات !
فقال رويد :
ــ ألا يوجد مصعد آخر لنقل البضائع والحقائب ؟.
ــ كلا .. انهم يستخدمون هذا المصعد في جميع الأغراض .. لامنـاص من ان أصعد سيراً على قدمي .. ولكني سأسير ببطء .. طاب مساؤكما .

ــ ٧ ــ

قالت ماري ايلدن :
ــ ما أشبه اليوم بأيام الصيف !.
كانت تجلس مع اودري على شاطيء البحر أمام شرفة فندق (ايسترهيد) وكانت أودري ترتدي ثوب استحمام ناصع البياض تبدو فيه أشبه بتمثـال من الرخام .. بينما كانت كاي مستلقية على وجهها فوق الرمـال على بعد خطوات منها . .
وسمعت كاي عبارة ماري ايلدن فاعتدلت جالسة وقالت :
ــ ولكن الماء بارد كالثلج .
فقالت ماري :
ــ لا تنسي اننا في شهر سبتمبر .
ــ كم أود الآن ان أكون في جنوب فرنسا .. ان الجو هناك في مثل هذا الوقت من السنة دافيء تماماً .

فقال ادوارد لاتيمر .. وكان يعبث بالرمال عند قدمي كاي .

ـ ان الشمس في انجلترا ليست شمساً على الاطلاق .

فقالت ماري :

ـ الا تنوي النزول الى الماء يا مستر لاتيمر ؟.

فضحكت كاي وقالت :

ـ ان ادوارد لا ينزل ابداً إلى الماء .. انه يحب الاصطلاء في الشمس كالثعبان .

ثم نهضت وهي تقول :

ـ انني اشعر بالبرد .. هلم بنا يا ادوارد .

وابتعدا معاً فقالت ماري وهي تشيعها ببصرها :

ـ كالثعبان حقاً !.

فسألتها أودري :

ـ اهذا رأيك فيه ؟.

فلم تجبها ماري وقالت وهي ترقب كاي وادوارد :

ـ ما اخلق كل منها بالآخر .. انها يحبان نفس الأشياء ، ولها نفس الآراء ويتكلمان بنفس الأسلوب .. ان من بواعث الأسف حقاً ان ..

وكفت عن الكلام ، فسألتها أودري بحدة :

ـ ان ماذا ؟.

ـ . ان نيفيل قابلها .

فاعتدلت أودري في جلستها ورمقتها بنظرة صارمة ، واستدركت ماري على الفور قائلة :

ـ انا آسفة يا اودري . ما كان يجب ان أقول ذلك .

ـ ارجوك الا تخوضي في هذا الموضوع مرة أخرى .

ـ انا آسفة حقاً .. ولكني كنت أظن ان الأزمة انتهت وانك تغلبت عليها .

– اؤكد لك أنه لم تكن هنـاك أية أزمة . وان الموضوع لم يترك في نفسي أي أثر .. انني اتمنى لنيفيل وكاي كل توفيق وسعادة .

ومرت بجسدها رعدة فسألتها ماري :

– هل تشعرين بالبرد ؟.

– نعم .. وأظن أنه يحسن بي ان ارتدي ثيابي .

قالت ذلك ونهضت ، وبقيت ماري وحدها فتمددت على الرما واغمضت عينيها .

كانوا جميعاً قد قضوا يوماً ممتعاً على الشاطيء وتنـاولوا طعـام الغذاء في الفندق الذي كان يعج بالنزلاء رغم انصراف الصيف .. واحسوا بلذة الراحة والاسترخاء بعيداً عن القصر وجوه المشحون بعوامل القلق والتوتر

* * *

وانتبهت ماري ايلان من تأملاتها على حركة بالقرب منهـا ، فرفعت رأسها ورأت ادوارد لاتيمر يلقى بنفسه على الرمال بجوارها . فسألته .

– ماذا فعلت بكاي ؟.

فأجابها بايجاز :

– اخذها صاحبها الشرعي .

وكان في صوته ولهجته ما جعلها تعتدل جـالسة وترسل بصرها إلى حيث كان نيفيل وكاي يسيران الهوينا على حافة الماء . ثم نظرت بسرعة الى ادوارد .. كانت الصورة التي انطبعت في ذهنها عنه انه شاب منحرف غريب الأطوار ولكنها أحست الآن بأنها أمام انسان جريح موتور فقالت لنفسها :

– لا شك انه كان مولعاً بكاي . ثم جاء نيفيل فانتزعها منه .

قالت له بلطف :

ـ أرجو ان تكون قد استمتعت باقامتك هنا .

كانت عبارتها دارجة مألوفة .. ولكن صوتها كان رقيقاً ودوداً وينطوي على دعوة الى التفاهم والصداقة واستجاب الشاب للدعوة وقال :

ـ ليس أكثر مما لو أقمت في أي مكان آخر .

ـ انني آسفة !.

ـ ولماذا الأسف ؟. وماذا يهمك من أمر انسان غريب عن بيتكم ؟.

وأحست بما في اجابته من مرارة ، وتفرست طويلاً في وجهه الوسيم وقالت :

ـ أرى انك لا تحبنا .

فضحك ضحكة قصيرة وأجاب :

ـ وهل كنت تتوقعين ان احبكم ؟

ـ كنت أظن اننا رحبنا بك وأكرمنا وفادتك كصديق لكاي .

فقال ساخراً :

ـ نعم .. كصديق لكاي .

ـ هل لك ان تحدثني بصراحة لماذا تمقتنا ؟. ماذا فعلنا ؟. وماذا عيبنا ؟.

ـ عيبكم الحذلقة . انكم تنعمون بأطايب الحياة كأنها حقكم الموروث . وتنظرون الى أمثالي نظرتكم الى حيوان خارج الحظيرة .

ـ قد يكون في سلوكنا ما يستوجب النقد ، ولكننا في الواقع لسنا من الرداءة كما تتصور . وسأضرب لك مثلاً من نفسي .. فأنا في هذه اللحظة أشعر بأشد الأسف لأنك تعيس ، وأتمنى ان أفعل أي شيء للترفيه عنك

ـ جميل أن يكون هذا شعورك

ـ هل تحب كاي منذ وقت طويل ؟

ـ منذ وقت طويل جداً .

ـ وهي ؟. هل تحبك ؟

ـ كنت اعتقد ذلك الى ان جاء نيفيل .

– وهل ما زلت تحبها ؟.
– أظن ان ذلك واضح .
فصمتت ماري ايلدن لحظة ثم قالت :
– ألا ترى من الأفضل أن ترحل من هنا ؟.
– لماذا ؟.
– لأن وجودك هنا يزيدك ألماً .
فنظر اليها وضحك ، وقال :
– انك مخلوقة طيبة .. ولكنك لا تعرفين شيئاً عن الوحوش التي تجول حول بيتك . ان احداثاً هامة قد تقع في القريب العاجل .
فسألته بجدة :
– أية احداث تعني ؟.
– صبراً .. وسوف ترين .

– ٨ –

ارتدت أودري ثيابها ، وقصدت إلى الربوة المطلة على البحر ، حيث كان توماس رويد يجلس فوق صخرة بارزة وغليونه في فمه .

وأدار توماس رأسه حين شعر باقترابها ، ولكنه لم يتحرك من مكانه .

وجلست أودري بجواره دون أن تنطق بكلمة ، وساد بينهما صمت عميق مريح كذلك الذي يسود أحيانا بين شخصين يعرف كل منهما الآخر حق المعرفة .

وأخيراً قالت أودري وهي ترسل بصرها الى قصر الليدي تريسيليان ، وكان يقع في مواجهة الربوة مباشرة .

– كم يبدو القصر قريباً !.

– نعم .. وبوسعنا أن نصل اليه سباحة .

– ليس عندما يكون هناك مد كما هو الحال الآن ، كانت لدى الليدي تريسيليان وصيفة مولعة بالسباحة ، وقد حاولت مرة ان تعبر هذه المنطقة سباحة فقذفت بها الأمواج الى مصب النهر ولم تنج من الغرق إلا بصعوبة .

– ولكني لا أرى هنا لافتة تحذر من الخطر .

– ان التيارات الخطيرة ليست في هذا الجانب ، وانما في الجانب الآخر حيث يوجد القصر .. ان الخطورة هنا هي من ناحية عمق الماء تحت الربوة .. لقد حاول أحد الشبان في العام الماضي الانتحار بالقـــاء نفسه من فوق هذه الصخرة التي نجلس عليها الآن ولكنه ارتطم بشجرة لم يفطن اليها . وعلقت ثيابه بأغصانها إلى أن جاء حراس السواحل فأنقذوه .

– مسكين .. أنا واثق من انه لم يشكر منقذيه .. ان الأنسان لا يتمالك من الشعور بخيبة الأمل حين يوطن العزم على الخلاص من الحياة ثم يجد انه أنقذ على الرغم منه .

فتنهدت أودري وقالت :

– من يدري .. لعله الآن سعيد لأنه لم يمت .

فنظر اليها من ركن عينه وهي مستغرقة في التأمل والتفكير .. ولاحظ طول أهدابها وجمال قسماتها وصغر أذنيها وذكره ذلك بشيء فقال :

– بهذه المناسبة ، لقد عثرت على القرط الذي سقط منك ليلة أمس .

ودس يده في جيبه وأخرج القرط فقالت أودري :

– أين وجدته ؟. في الشرفة ؟.

– كلا .. كان على مقربة من درج السلم .

وتناولت القرط وكان ضخماً بالقياس الى اذنها الصغيرة فقال توماس :

– ألا تخلعين القرط حتى وأنت تستحمين ؟. ألا تخشين ان تفقديه ؟.

– ان اقراطي جميعاً من النوع الرخيص .. ولكني لا أحب الظهور بدونها بسبب هذا .

واشارت الى أثر جرح قديم في اذنها اليسرى .

فقال توماس :

– آه .. هل هنا عضك ذلك الكلب العجوز ؟.

فأطرقت أودري برأسها علامة الايجاب .

كانت وهي طفلة قد اسندت رأسها الى ظهر الكلب وكان الكلب يعاني من جرح في ساقه ، فضاق بها وعض أذنها .

قال توماس :

– ولكن الأثر الذي تخلف عن العضة لا يكاد يرى .

– انني لا اطيق ان يكون بوجهي ما يعيبه .

كان يعرف مدى حرصها على الكمال .. كانت هي كلها مثالاً للكمال في كل شيء .

قال :

– انك أجمل كثيراً من كاي .

– كلا يا توماس .. ان كاي جميلة جداً .

– ظاهرياً .

– هل تعني جمال الروح ؟.

– كلا .. بل أعني جمال الهيكل العظمي .

فضحكت أودري ، وتشاغل توماس باشعال غليونه ، ثم قال بهدوء :

– ماذا بك يا أودري ؟. يخيل إلي ان هناك ما يهمك .

- كلا .. لا شيء على الأطلاق .

– لا تنظري الى الوراء يا أودري انك ما زلت في مقتبـــل العمر . والمستقبل فسيح امامك فانظري الى الغد لا الى الأمس .

– حدثني يا توماس .. هل أبدو في بعض الأحيان غير طبيعية ؟.
– هراء .. انك ..
– ماذا ؟
– انني افكر فيك دائماً .. كما كنت قبل الزواج .. لماذا اقترنت بنيفيل يا أودرى ؟
– لأنني أحببته .
– أعلم ذلك . ولكن لماذا أحببته ؟.
– اظن انني احببته لانه كان ايجابياً . وسعيداً .. وواثقاً من نفسه .. وهي صفات كنت افتقدها في نفسي .. ثم لأنه وسيم ..
– نعم .. كان في نظرك الرجل الانجليزي المثالي .. فهو رياضي، ومتواضع، ووسيم .. ويستطيع الحصول على كل ما يريد ..
فنظرت اليه اودرى بجدة وقالت ببطء :
- انك تمقته .. أليس كذلك ؟.
فتجنب نظرتها ، وراح يعيد اشعال غليونه الذي انطفأ . ثم قال :
– وهل يدهشك ان امقته ؟. ان له كل الصفات التي افتقر اليها انه يمارس الألعاب الرياضية ، ويرقص ببراعة ، ويتحدث بطلاقة . وانا معقود اللسان مشوه الجسم .. ثم انه تزوج الفتاة الوحيدة التي احببتها .
فأطرقت برأسها ولم تجب ..
قال بجدة :
– انت تعلمين انني احببتك منذ كنت في الخامسة عشرة من عمرك .. وما زلت احبك الى الآن ..
فأسكتته بقولها :
– كلا .. ليس الآن ..
– ماذا تعنين ؟.

– انني الآن أختلف عما كنت قبلاً .

– كيف ؟..

فنهضت وهي تقول :

– لا أعلم .. انني لست واثقة من نفسي ..

ولم تكمل عباراتها ودارت على عقبيها ، وانطلقت مسرعة في الطريق الى الفندق ..

وفيما هي تثب فوق الصخور ، إذا بها ترى نيفيل منبطحاً على الأرض ، أمام بركة ماء بين الصخور .

فنظر اليها وابتسم وقال :

– أهـذه أنت يا أودري ؟! . انني أراقب السمكات الصغيرة وهي تعبث في الماء .

فجثت بجانبه وراحت تنظر الى الماء .

سألها :

– هل ترينها ؟..

– نعم .

– هل لك في لفافة تبـغ ؟.

فتناولت لفافة اشعلها لها .. وراحت تدخن دون أن تنظر اليه .

قال اودري :

– نعم .

– كل شيء بيننا على ما يرام ؟.

– طبعاً ..

– انني حريص على أن تقوم بيننا صداقة وطيدة .

ونظر اليها بقلق فقالت :

– طبعاً .. طبعاً ..

ـ أودري ...
ولكنها نهضت وقالت :
ـ ان زوجتك تلوح لك بيدها .
ـ من ؟.. كاي ؟..
ـ قلت زوجتك .
فنهض بدوره ووقف يتفرس في وجهها ثم قال بصوت خافت :
ـ أنت زوجتي يا أودري .
فأشاحت بوجهها ومضت في سبيلها ، بينما انطلق نيفيل للحاق بزوجته .

ـ ٩ ـ

عندما وصلوا الى القصر اقترب هرساتل كبير الخدم من ماري إيلدن وقال لها :

ـ ان الليدي تريد مقابلتك فوراً يا آنسة .. انها منزعجة .. وتريد التحدث اليك .

فهرولت ماري الى مخدع الليدي تريسيليان ، ووجدت السيدة العجوز شاحبة الوجه مضطربة الأعصاب .
هتفت الليدي حالما أبصرت بها :
ـ كم يسرني انك عدت أيتها العزيزة .. انني في أشد حالات الحزن والأسى فقد مات مستر تريفز المسكين .
ـ مات ؟ .
ـ نعم .. مات فجأة .. عقب عودته الى غرفته ليلة أمس ، ويبدو انه لم يتمكن حتى من خلع ثيابه .
ـ هذا أمر يدعو الى الأسف حقاً ..

– كنت أعلم طبعاً انه ضعيف الجسم ومريض القلب ، فأرجو ألا يكون قد حدث هنا ما أجهده ، أو ان يكون قد تناول طعاماً لا يلائمه .

– كلا .. أنا واثقة من انه لم يحدث شيء من ذلك . وقد لاحظت انـه كان مرحاً وفي حالة نفسية طيبة .

– انني حزينة جداً ، وأرجوك أن تذهبي الى فندق بالموران للوقوف على مزيد من التفصيلات ، والاستفسار من مسز روجرز صاحبة الفندق عمـا إذا كان بوسعنا عمل شيء ..

اسأليها عن موعد تشييع الجنازة .

– سأذهب فوراً لآتيك بالخبر اليقين ولكنني أرجوك ألا تحزني .. أنا اعلم انها صدمة قاسية لك ، ولكن حاولي أن تتقبلها بمزيد من الرضوخ والهدوء .

* * *

وعندما هبطت ماري إيلدن الى قاعة الاستقبال قالت للضيوف :

لقد مات مستر تريفز ليلة أمس عقب عودته الى الفندق .

فهتف نيفيل :

– مسكين !! .

– ماذا أصابه ؟..

– يبدو أنه اصيب بأزمة قلبية .

ففكر توماس قليلاً ثم قال :

– ترى هل السبب أنه صعد السلم !!.

فهتفت ماري :

– صعد السلم ؟.

– نعم ، لقد تركته أنا ولاتيمر وهو يهم بصعود السلم .

– هذه حماقة منه .. لماذا لم يستخدم المصعد ؟.
– كان المصعد معطلا .
– آه ...: هذا من سوء حظه .

ثم استطردت قائلة :
– سأنطلق الآن الى فندق بالمورال ، فالليدي تريد أن تعرف مـا إذا كان منا أن نفعل شيئاً .

فقال توماس :
– سأذهب معك .
وسارا في الطريق إلى الفندق وقالت ماري :
– ترى هل له أقارب يمكن أخطارهم ؟.
– لا أعلم .. هل كان متزوجاً ؟.
– لا أظن ذلك .

وعندما دخلا الفندق .. كانت مسز روجرز تتحدث الى رجـل طويل ة يناهز الأربعين ، وما أن رأى الرجل ماري حتى رفع يده محيياً وقال :
– طاب مساؤك يا مس إيلدن .
فأجابت :
– طاب مساؤك يا دكتور لازنبي . دعني أقدم لك مستر رويد .. لقد ا من لدن الليدي تريسليان للاستفسار عما إذا كان بوسعنا عمل شيء .
فقالت مسز روجرز :

هذا كرم منكما .. تعاليا الى غرفتي .
وانتقلوا جميعاً الى قاعة استقبال صغيرة أنيقة . وهناك قال الطبيب :
– هل تناول مستر تريفز طعام العشاء عندكم ليلة أمس ؟
– نعم .
– كيف كان يبدو ؟ هل كان منفعلا .. او حزيناً ؟.

– كلا .. كان بادي المرح والسرور طول الوقت .

– نعم .. هذا اسوأ ما في حالات مرضى القلب .. يأتي الموت غالباً فجأة .. لقد قرأت قوائم الأدوية التي وصفها له أطباؤه ، وهي تدل على أن حالته كانت خطيرة .

فقالت مسز روجرز :

– انه كان شديد العناية بنفسه ، وأعتقد أننا وفرنا له كل وسائل الراحة .

فقال الطبيب بلباقة :

– أنا واثق من ذلك يا مستر روجرز ... ولا بد انه أجهد نفسه بطريقة ما .

فقالت ماري :

– كان يكون قد صعد درج السلم ؟ ..

– نعم .. ولكنه ما كان ليفعل ذلك وهو يعرف مدى خطورة حالته .

فقالت مسز روجرز :

– انه كان يستخدم المصعد ويصر على ذلك بشدة .

– ولكن المصعد كان معطلاً ليلة أمس ولذلك ..

فقاطعتها مسز روجرز قائلة في دهشة :

– ان المصعد كان يعمل طوال ليلة أمس يا مس إيلدن .

وهنا سعل توماس رويد وقال :

– معذرة يا مسز روجرز .. انني رافقت مستر تريفز إلى هنا ، وكانت على المصعد لوحة تفيد أنه معطل .

فهتفت مسز روجرز :

– هذا غريب . ان المصعد كان سليماً .. ولم تكن هناك لوحة كالتي تذكرها .. هذا المصعد لم يصب بعطل منذ نحو ثمانية عشر شهراً .

فقال الطبيب :

ـ ألا يحتمل أن يكون أحد الخدم قد وضع هذه اللوحة بعد الانتهاء فترة عمله ؟..

فصاحت مسز روجرز :

ـ انه مصعد آلي يا دكتور .. ولا يحتاج الى شخص لتشغيله .. وعلى كل حال سأستفسر من حارس الباب .

وغادرت الغرفة مسرعة وهي تنادي :

ـ جو . جو .

ونظر الطبيب الى توماس رويد في دهشة وقال :

ـ هل انت واثق مما قلت يا مستر رويد ؟.

ـ تمام الثقة .

وعادت مسز روجرز ومعها حارس الباب الذي أكد أن المصعد لم يكن به أي عطل في الليلة السابقة .

وهنا قال الطبيب أن أحد النزلاء ربما وضع تلك اللوحة على سبيل الدعابة .

وانتهى الأمر عند هذا الحد .

وقال الطبيب رداً على أسئلة مارى إيلدن أنه عرف من سائق سيارة مستر تريفز عنوان محامي هذا الأخير . وانه ستصل به ثم يذهب للقاء الليدى تريسيتيان لينبئها بما يمكن عمله بشأن تشييع الجنازة .

وانصرف الطبيب وعادت مارى إيلدن وتوماس رويد الى القصر ..

وفي الطريق قالت مارى :

ـ هل أنت واثق من انك رأيت تلك اللوحة يا توماس ؟.

ـ أنا ولوتيمر رأيناها .

ـ هذا عجيب !!

- ١٠ -

كان اليوم هو الثاني عشر من شهر نوفمبر .

قالت ماري ايلدن بصوت كمن يتحدث الى نفسه .

- لم يبق سوى يومان ..

وعضت شفتها على الأثر واحمر وجهها ، والتفتت نحو توماس رويد وقالت معتذرة :

- لا أدري في الحق ماذا دهاني .. انني طوال حياتي لم أتعجل انتهاء زيارة كما أتعجل انتهـــاء هذه الزيارة . كنا دائماً نرحب بنيفيل وأودري ، ونستمتع بوجودهما معنا ، ولكننا في هذه المرة نشعر كأننا نجلس فوق شحنة من الديناميت يمكن أن تنفجر في أي لحظة . ولهذا السبب قلت لنفسي عندما استيقظت هذا الصباح: لم يبق سوى يومان.. فان أودري سترحل يوم الأربعاء وسيرحل نيفيل وكاي يوم الخميس .

فقال توماس :

- وانا سأرحل يوم الجمعة .

- انك لست في الحسبان .. فقد كنت بمثابة الحصن المنيع ، ولا أدري ماذا كان في استطاعتي ان أفعل بدونك ..

وصمتت لحظة ثم استطردت قائلة :

- انني لا افهم لم كل هذا التوتر ؟. ان أقصى ما يمكن ان يحدث هو ان يدور حوار عنيف .. او ان يثور احد الأطراف .. وهذه امور مألوفة في كل مجتمع. ولكن المخاوف تتجسم دائماً .. وقد انتقلت العدوى الى الخدم انفسهم، فانفجرت إحدى خادمات المطبخ باكيـة صباح اليوم ، وأنذرتنا بترك العمل

لغير ما سبب . والطاهية متوترة الأعصاب وكذلك هرستال رئيس الخدم حتى جين باريت نفسها ، تلك التي نصفها دائماً بأنهـا اكثر ثباتاً من بارجة .. حتى هذه المرأة القوية قد ظهرت عليهـا دلائل التوتر العصبي .. وكل ذلك بسبب فكرة سخيفة خطرت لنيفيل ، وجعلته يحاول توثيق أواصر الصداقـة بين زوجتيه لكي يريح ضميره .

- وهي فكرة فشلت تماماً ..

- طبعاً . ان كاي ثائرة وأنا لا أتمالك من الاحساس بالعطف عليها .. هل لاحظت كيف كان نيفيل يتودد إلى أودري ليلة أمس ؟ انه لا يزال يحبها ، وقد كانت تصرفاته كلها خطأ محزناً .

- كان ينبغي عليه أن يفكر جيداً قبل ان يقدم على الطلاق . ثم على الزواج .

ذلك ما نقوله نحن جميعـاً .. ولكن ذلك لا يغير من الواقع شيئاً .. انني أرثي له حقاً ..

- ان أمثال نيفيل ..

- نعم ؟.

- ان اولئك الذين على شاكلة نيفيل يتوهمون ان في مقدورهم الظفر بكل ما يريدون . واني أعتقد ان قصته مع أودري كانت اول صدمة صادفهـا في حياته ، ها هو الآن يحصد ما زرع ، لقد فقد أودري إلى الأبد ولن يستطيع الوصول اليها مرة اخرى مهما حدث .

- أظنك على صواب .. ومع ذلك فقد كانت أودري تحبه عندما اقترنت به وكانا سعيدين معاً ..

- ولكنها الآن لا تحبه ..

فتنهدت ماري ايلدن وقالت

- من يعلم .

ـ وثمة شيء آخر .. يحسن بنيفيل أن يكون على حذر من كاي . انها امرأة خطرة .. ومتى غضبت فانها لن تقف عند حد .

ـ على كل حال لم يبق إلا يومان .

وفي هذه اللحظة أقبل نيفيل قادماً من البيت .. قال :

ـ انني لا أصدق اننا في شهر سبتمبر .. فالحر يشتد يوماً بعد يوم .. حتى لكأننا في المنطقة الاستوائية .

ونهض توماس ، وابتعد دون أن ينطق بكلمة . فقـال نيفيل وهو يشيعه ببصره :

ـ يخيل إلي انه لا يطيق البقاء معي في مكان واحد .

فقالت ماري :

ـ ولكنه شاب ظريف .

ـ انني اخالفك في هذا الرأي . فهو انسان ضيق الأفق شديد التشاؤم .

ـ أظن انه كان دائمـا يرجو أن يقترن بأودري ، الى ان جئت أنت وظفرت بها .

ـ كان لا بد له من سبع سنوات على الأقل لكي يحزم رأيه ويطلب يدها !. وأية فتاة تستطيع الانتظار كل هذه السنين ؟.

ـ لعل آماله تتحقق الآن .

ـ هل تعتقدين ان أودري ترضى بالاقتران برجل عبوس كهذا ؟.

ـ انني أعتقد انها تميل اليه .

ـ انكن يا معشر النساء أسوأ سماسرة الزواج !. لمـاذا لا تدعنها تنعم بحريتها بعض الوقت ؟. ألا تظنين انها سعيدة بهذه الحرية ؟.

قالت ببطء :

ـ الحق انني لا أعلم .

ـ أنا كذلك لا أعلم .. وليس هناك من يستطيع أن يسبر غور مشاعرها .

وتريث لحظة ثم استطرد قائلاً :
- ولكنها مخلوقة نبيلة .. وقد كنت مغفلاً حين تركتها .
ومضت ماري الى البيت وهي تقول لنفسها للمرة الثالثة :
- لم يبق سوى يومان .
أما نيفيل فانه راح يطوف بالحديقة، حتى رأى أودري جالسة فوق جدار منخفض يطل على البحر .

وأبصرت به أودري فوثبت من مكانها وأقبلت نحوه وهي تقول :
- كنت أهم بالعودة الى البيت فقد حان وقت تناول الشاي .

قالت ذلك بسرعة ، دون ان تنظر اليه ، فسار بجوارها وهو صامت ، الى أن اقتربا من الشرفة التي تطل على الحديقة وحينئذ قال :
- هل أستطيع أن أتقدم اليك يا اودري ؟.

فأجابت وهي تطبق بأصابعها على حاجز الشرفة :
- لعل من الأفضل ألا تفعل .
- معنى هذا انك تعرفين ما أريد ان اقوله .

فلم تجب . وقال ·
- ما رأيك يا اودري ؟. الا نستطيع أن نصل ما انقطع وأن ننسى ما حدث ؟..
- عما في ذلك كاي ؟.
- ان كاي سوف تفهم .
- ماذا تعني ؟ .
- سأصارحها بالحقيقة . وأترك الأمر لكرمها ، سأقول لها انك المرأة الوحيدة التي أحببتها .
- ولكنك كنت تحب كاي حين تزوجتها .
- وان زواجي منها كان اكبر خطأ ارتكبته ، انني ..

وكف عن الكلام حين رأى كاي تخرج من باب قاعة الاستقبال ، وتقبل نحوهما .. وشرر الغضب يتطاير من عينيها .

قالت :

– يؤسفني أن أفرض نفسي على هذا المشهد المؤثر .. ولكني أظن انه قد آن لي أن افعل ذلك .

فقالت أودري وهي تبتعد :

– سأخلي لكما الجو .

فصاحت كاي :

– هل نفثت سمومك وحققت أهدافك ؟ سيكون لي شأن معك فيما بعد ، أما الآن فسأسوي الحساب مع نيفيل .

فقال نيفل :

– اصغي الي يا كاي .. ان اودري لا شأن لها بهذا .. أنا وحدي الملوم .

– أي رجل أنت بحق السماء ؟ تترك زوجتك ونقترن بي ... وتطارحني الحب في لحظة وتسأمني في اللحظة التالية .. والآن تريد العودة الى هذه القطة الباهتة التافهة الخادعة .

– اصمتي يا كاي .

– تكلم .. ماذا تريد بالتحديد ؟.

فأجاب وقد فر لونه :

– اطلقي على أقبح الأسماء والصفات إذا شئت .. ولكن ذلك لن يجديك فتيلا .. انني لا استطيع الاستمرار معك .. وقد وضح لي الآن انني كنت أحب أودري طول الوقت ، وان حبي لك كان ضرباً من الجنون .

انني لا أصلح لك ايتها العزيزة ولن استطيع اسعادك . ومن الخير لنا أن نضع حداً لخسائرنا وان نفترق أصدقاء .

فسألته في هدوء مصطنع

ـ ماذا تقترح إذن ؟.

فأجاب دون أن ينظر اليها :

ـ اقترح الطلاق . بدعوى انني هجرتك .

ان الطلاق يتطلب وقتاً .

ـ سأنتظر .

ـ وحينما يتم الطلاق بعد عامين أو ثلاثة أعوام ..هل ستطلب الى اودرى العزيزة اللطيفة ان تقترن بك مرة أخرى ؟

ـ ذلك إذا وافقت .

فصاحت كاي في حقد :

ـ انها ستوافق فاطمئن .. ولكن ماذا سيكون من أمري ؟.

ـ ستصبحين حرة وسيكون بوسعك أن تجدي رجلاً أفضل مني .وطبيعي انني سأرتب لك نفقة كبيرة تفي بكل حاجاتك .

ـ لا تحاول أن ترشوني . أصغ إلي يا نيفيل . انني لن أطلقك .. لقد تزوجتك لأنني أحببتك .. وأنا أعرف متى بدأ نفورك مني .. لقد بدأ حين صارحتك بأنني تتبعتك الى مدينة (ستوربل) .. كنت تعتقد ان القدر هو الذي جمع بيننا ، فخدش كبرياءك وخيلاءك ان تعلم انني التي دبرت اجتماعنا ، ولكنني لا أشعر بالخجل مما فعلت انك أحببتني واقترنت بي ولن ادعك تعود الى تلك القطة الماكرة التي نشبت مخالبها فيك مرة اخرى ... انني أفضل أن اقتلك على أن اتركك تعود اليها .. هل سمعت سأقتلك ثم اقتلها ..

فأمسك بساعدها بعنف وقال :

اصمتي ... اصمتي بحق السماء .. لا ينبغي أن تحدثي مثل هذه

الفضيحة هنا ؟

ولم لا ! .. سوف ترى .. سوف .

ولم تتم عبارتها ، فقد أقبل عليها هيرستال في تلك اللحظة . وقال بهدوئه المألوف :

ـ قد أعد الشاي بقاعة الاستقبال .

وافسح لها الطريق ، فانتقلا الى قاعة الاستقبال . وأخذت السحب تتلبد في السماء .

— ١١ —

بدأت الأمطار تنهمر قبل الساعة السابعة بقليل ، ووقف نيفيل بنافذة غرفته ، وأرسل بصره نحو البقر ..

لم يكن قد دار بينه وبين كاى حديث عقب تناول الشاى ، وحرص كل منهما على تجنب الآخر ..

وفي المساء ، تناول الجميع طعام العشاء في جو بالغ الكآبة .. فنيفيل شارد الذهن طول الوقت ، وكاى متجهمة الوجه رغم أسرافها في طلائه .. وأودرى جامدة في مكانها كتمثال من الرخام . ومارى إيلدن تبذل قصارى جهدها لاجتذاب الضيوف الى الحديث .. وتنظر الى توماس رويد في ضيق لأنه لا يعاونها في مهمتها .. حتى هرستال نفسه كان مضطرب الأعصاب ويداه ترتجفان وهو يضع الصحاف على المائدة .

وبعد العشاء قال نيفيل :

– انني افكر في الذهاب الى إيسترهيد لكي العب البليارد مع إدوار لاتيمر .

فقالت ماري

– في هذه الحالة يحسن بك أن تأخذ مفتاح الباب الخارجي حتى يتسنى لك الدخول إذا عدت في وقت متأخر .

* * *

وانتقلوا الى قاعة الاستقبال حيث تناولوا القهوة وأداروا جهاز الراديو لسماع نشرة الأخبار .

وكانت كاي لا تقف عن التثاؤب منذ غادرت قاعة الطعام . ولم تلبث ان استأذنت في الانصراف لتأوى الى فراشها .

وأصغي نيفيل الى نشرة الأخبار وبعض القطع الموسيقية ثم نهض ليذهب الى ايسترهيد فسألته ماري

– هل ستذهب بالسيارة أم ستعبر النهر بالقارب ؟.

فأجابها :

– بل سأعبر النهر بالقارب ، إذ لا معنى لقطع خمسة عشر ميلاً بالسيارة .

– ولكن المطر لا يزال ينهمر .

– لا بأس ، سأرتدي معطفي .. طاب مساؤكم ..

ولكنه ما كاد يخرج الى البهو حتى لحق به هرستال وقال له :

– ان الليدي ترغب في التحدث اليك

فنظر نيفيل الى ساعته .. وكانت الساعة قد بلغت العاشرة ، فهز كتفيه ، وقصد الى غرفة الليدى تريسيليان ودق بابها ، وانتظر قليلاً حتى سمع صوتها

وهي تصيح

– ادخل .

وكانت الليدي قد تأهبت للنوم وأطفأت أنوار مخدعها . فلم يبق مضيئاً سوى المصباح الصغير الذى تستعين به في القراءة .

ودخل نيفيل وأغلق الباب وراءه وتحت الليدي الكتاب الذي كانت تقرؤه جانباً . ورمقت نيفيل من فوق عويناتها بنظرة صارمة ، وقالت :

– أريد أن أتحدث اليك يا نيفيل .

فأجاب وهو يبتسم ·

– هأنذا مصغ اليك يا سيدتي الناظرة .

ولكن الليدي لم تبتسم وقالت :

– ثمة أشياء لا أسمح بها في بيتي يا نيفيل ، انني لا استرق السمع على أحد ، ولكن عندما تصر أنت وزوجتك على الصياح تحت نافذتي فانني لا أتمالك من سماع ما تقولان .. وقد فهمت مما سمعته انك تفكر في طلاق كاي لكي تقترن مرة أخرى بأودري . وهذا امر لا ينبغي أن تفعله .. ولا أريد أن اسمع عنه .

فبدأ نيفيل وكأنه يحاول السيطرة على غضبه وقال بايجاز :

– انني اعتذر عن صياحنا تحت نافذتك . اما فيما يتصل بما ذكرته غير ذلك فأنني اعده من شؤوني الخاصة .

– كلا .. انه ليس من شؤونك الخاصة .. انك استخدمت بيتي للاتصال بأودرى ، أو ان اودرى هي التي ..

فقاطعها نيفل قائلا :

– أن اودرى لم تفعل شيئاً في هذا الصدد .

مهما يكن من امر يا نيفيل ، فان كاى هي زوجتك ولها عليك حقوق

ليس بوسعك أن تحرمها منها او ان تنكرها عليها . وأنا اتمالك من مصارحتك بأنها مسؤوليتك ويجب ان يكون واضحاً .

فخطا نيفيل نحوها خطوة وصاح بصوت مرتفع :

— لا شأن لك بهذا .

ولكنها لم تحفل باحتجاجه ومضت تقول

— وأكثر من ذلك ان اودري ستغادر هذا البيت غداً .

— هذا ما لا يجب أن يحدث ، انني لا اسمح بذلك .

— لا تصرخ في وجهي يا نيفيل .

— قلت لك انني لا اسمح بذلك .

وفي مكان ما من الدهليز ، سمع صوت باب يغلق .

وذهبت الوصيفة اليس بنتهام الى الطاهية مسز سبايسر وقالت لها وهي زائغة البصر بادية الاضطراب

— ماذا افعل بحق السماء يا مسز سبايسر ؟.

— ماذا حدث ؟

— لقد حملت الشاي الى مس باريت في غرفتها منذ ساعة ولكنها كانت نائمة فلم أشأ ان ازعجها ، ومنذ خمس دقائق ذهبت اليها مرة اخرى لأنها لم تحضر كالعادة لتحمل الشاي الى الليدي ، ولكنها كانت لا تزال مستغرقة في نوم عميق . وعبثا حاولت ان اوقظها ، كان لون وجهها مخيفاً .

— يا إلهي !. هل ماتت ؟.

— كلا ، انها تتنفس ، ولكن انفاسها خافتة متقطعة .

— حسناً ، سأذهب اليها بنفسي ، وعليك ان تحملي الشاي الى الليدي .

وحملت اليس بنتهام صفحة الشاي وانطلقت بها الى غرفة الليدي وطرقت الباب مرتين . ولما لم تسمع جواباً فتحت الباب ودخلت وبعد لحظة ، سمع

صوت سقوط اقداح وأطباق وتهشمها ،واندفعت اليس بنتهام من مخدع الليدى تريسيليان وراحت تهبط السلم وثبا وهي تصرخ في فزع .. كما لو كانت قـد رأت شبحاً ..

ووجدت هرستال ينظف البهو فصاحت به :

ــ مستر هارستال ، لقد دخل اللصوص وقتلوا الليدي ان في رأسها ثقبـاً كبيراً .. والدم في كل مكان

الفصل الرابع

التحقيق

- ١ -

استمتع المفتش باتل باجازته كل الاستمتاع ، ولكنه اصيب بخيبة أمل في الأيام الثلاثة الأخيرة حين اضطراب الجو وهطلت الأمطار .

وكان باتل يتناول طعام الأفطار مع ابن اخيه المفتش ليتش حين دق جرس التليفون .

وتناول ليتش السماعة ، وأصغى طويلاً ثم قال :

ـ سأحضر فوراً يا سيدي .

ووضع السماعة ، فقال باتل وقد لاحظ تجهم وجه ابن اخيه :

ـ هل ثمة شيء خطير ؟.

فأجاب ليتش :

ـ جريمة قتل .. ذهبت ضحيتها الليدى تريسيليان وهي سيدة عجوز معروفة جيداً في هذه الناحية . وتملك ذلك القصر القائم فوق الربوة في سولتكريك .

فأطرق باتل برأسه واستطرد ليتش قائلاً :

– سأذهب الآن لمقابلة مدير بوليس المنطقة .. انـــه صديق الليدي .. وسننطلق معاً الى القصر .

وعندما وصل الى الباب ، نظر الى باتل وقال بلهجة المتوسل :

– هل أستطيـــع الاعتماد على معونتك في تحقيق هذه القضية يا عماه، انهـا أول قضية من نوعها بالنسبة الى ..

– سأعاونك طالما كنت هنا .. هل هي قضية سطو وقتل ؟

– لا أعلم بعد ..

– ٢ –

بعد نحو نصف ساعة ، كان الماجور روبرت ميتشل يتحدث الى ليتش وعمه بلهجة جدية .. قال :

– من الواضح ان الجريمة ارتكبها شخص أو اشخاص من اهل القصر .. إذ لا يوجد أي أثر يـــدل على سطو من الخارج .. وكانت جميع النوافذ والأبواب مغلقة في الصباح .

ثم التفت الى باتل وقال :

– إذا اتصلت باسكوتلانديارد ، فهل تظن انهم يوافقون على اعارتك لتحقيق هذه القضية ؟. انك موجود في المنطقة فعلاً ، ثم هناك صلتك العائلية بالمفتش ليتش .. فاذا وافقت فسيكون معنى ذلك إنهاء اجازتك .

فقال باتل :

– لا مانع لدي يا سيدي .. بحسبك ان تتصل بالسير إدجار كوتوني ... مدير اسكتلنديارد ، انه صديقك أليس كذلك ؟.

– نعم .. وأعتقد انني استطيع اقناعه .. سأتصل به .

- هل تظن انها ستكون قضية هامة يا سيدي ؟.

– مهما يكن أمرها ، فانني لا أريد ان يحدث أي خطأ في سير التحقيق أو في توجيه الاتهام .

– ٣ –

وقف باتل وليتش بباب المخدع الفخم .

وبداخل المخدع ، كان أحد ضباط الشرطة يفحص البصمات على مقبض مضرب الجولف ملوث بالدماء وقد علقت به بعض شعرات بيضاء .

بينما انحنى الدكتور لازني ، طبيب شرطة المنطقة ، فوق جثمان الليدي تريسيليان .

وأخيراً اعتدل الطبيب وقال

– انها ضربت من الأمام بقوة ، فهشمت الضربة الأولى الرأس وأحدثت الوفاة .. ولكن القاتل استمر يضرب للتأكد من القضاء عليها .

فسأله ليتش

– ومتى حدثت الوفاة ؟.

– بين الساعة العاشرة ومنتصف الليل .

– الا تستطيع تقريب المدة الزمنية ؟.

فأجاب الطبيب

– إذا وضعت جميع العوامل في الاعتبار ، فانني لا أستطيع أن أقول سوى ان الجريمة وقعت في وقت لا يقل عن الساعة العاشرة ولا يتجاوز منتصف الليل .

– وهل أداة الجريمة هي هذا المضرب ؟.

– ذلك واضح ، ومن حسن الحظ ان القاتل تركه ، وإلا مـا امكن الاستدلال على نوع الإداة التي استخدمت ، ولا بد أن يكون القاتل قـد وقف الى يمين الفراش إذ لا يوجد مكان كاف الى اليسار .

– هل تعتقد ان القاتل كان أعسراً ؟

– لا أستطيـع ان اقطع في ذلك برأي.. ان التفسير الواضح هو أن القاتل أعسر ، ولكن يحتمل أن تكون السيدة قد أدارت رأسها قليلاً الى اليسار حين هم القاتل بضربها .

فقال باتل في هدوء :

– ولكن هل تستطيع ان تقسم على ان هذا المضرب هو أداة الجريمة ؟.

– كلا .. استطيع فقط ان أقسم انه ربما كان أداة الجريمة . على انني سأقوم بتحليل الدم العالق به للتحقق من انه من فصيلة دم المجنى عليها . كذلك سأقوم بفحص الشعرات البيضاء .

فقال باتل موافقاً :

– نعم .. يحسن التحقق من هذه الأمور .

– هل ترتاب في ان هذا المضرب هو أداة الجريمة أيها المفتش ؟.

فأجاب باتل :

– كلا . انني رجل بسيط اؤمن بما أرى .. لقد ضربت المجنى عليها بأداة ثقيلة .. والمضرب ثقيل .. ثم انه ملوث بالدم ، وعليه شعرات بيضاء . دم المجنى عليها وشعرها بغير شك .. انه اذن أداة الجريمة .

فسأل ليتش :

– هل كانت المجنى عليها نائمة حين ضربت ؟

فأجاب الطبيب :

أعتقد انها كانت مستيقظة ، فدلائل الدهشة تبدو على وجهها .. ورأيي الشخصي انها لم تكن تتوقع ما حدث . فلم تقاوم . ولم تشعر بخوف او هلع وأكبر الظن انها كانت قد استيقظت لتوها . فلم تدرك ما يحدث . او انها عرفت في القاتل شخصاً لا يمكن ان يقدم على ايذائها .

ـ ولم يكن مضاء سوى المصباح الصغير بجوار الفراش ؟.

ـ نعم . ولذلك دلالتان اما ان تكون السيدة قد شعرت فجـأة بدخول أحد فأضاءت المصباح او أنه كان مضاء قبل وقوع الجريمة .

وفي هذه اللحظة ، نهض الضابط جونز ، اخصائي البصمات وقـــال وهو يبتسم .

ـ ان البصمات واضحة على مقبض المضرب كل الوضوح .

فتنهد ليتش بارتياح وقال :

ـ ذلك ييسر مهمتنا كثيراً.

فقال الطبيب :

ـ لا شك أنه قاتل ظريف . ترك أداة الجريمة .. وترك بصمات اصابعه . ومن العجب أنه لم يترك كذلك بطاقته .

فقال باتل :

ـ لا بد أنه فقد صوابه بعد الجريمة .

ـ ذلك محتمل . سأذهب الآن لفحص المريضة الأخرى .

ـ أية مريضة ؟.

ـ لقد اتصل بي كبير الخدم قبل اكتشاف الجريمة ، وقال لي ان وصيفة الليدي في حالة غيبوبة تامة .

ـ ماذا أصابها ؟.

ـ تناولت مخدراً قوياً .. وكانت في حالة سيئة ولكني أعتقد انها ستنجو .

فمغمم باتل قائلاً :

ــ وصيفة الليدي !.

واستقرت عيناه على شريط الجرس الذي يتدلى فوق وسادة الليدي تريسليان . فقال الطبيب :

ــ نعم . لو قد أحست الليدي بخطر لبادرت الى جذب هذا الشريط . ولكن دون جدوى .. فقد كانت الوصيفة في حالة لا تسمح لها بسماع رنين الجرس .

ــ هل تعني ان الوصيفة خدرت عمداً ؟ ألم تتعود تعاطي العقاقير المخدرة

فقال باتل :

ــ كلا .. لم أجد في غرفتها أثراً لعقاقير مخدرة .. ولكني وجدت أثر المخدر في قدح شاي تناولته في المساء لقد تعودت ان تتناول الشاي قبل ان تأوي الى فراشها .

ــ لا بد ان يكون القاتل ممن يعرفون طباع أهل البيت جيداً ..

وتم التقاط صور غرفة النوم ، والجثة وتسجيل الأبعاد والمساحات وخلا الجو للمفتش باتل وابن اخيه فقال الأول :

ــ الآن يجب أن نحصل على بصمات اصابع أهل البيت جميعاً .. ولكن في رفق وأدب .. ودون إكراه .. وستكون النتيجة أحد امرين .. اما أن بصماتهم لا تتفق مع البصمات التي وجدت على المضرب .. او ان بصمات أحدهم تتفق معها .. وفي هذه الحالة .

ــ وفي هذه الحالة نكون قد وضعنا أيدينا على القاتل ..

ــ أو على القاتلة .

فهز ليتش رأسه وقال :

ــ كلا .. انها بصمات رجل .. انها اكبر كثيراً من بصمات النساء .. ثم ان هذه جريمة لا يرتكبها إلا رجل .

ــ نعم انها جريمة وحشية لا يرتكبها إلا رجل قوي .. وعلى شيء من

الغباء .. هل تعرف من أهل البيت احداً تنطبق عليه هاتان الصفتان ؟.

ــ انني لا أعرف أحداً هنا .. وهم جميعاً الآن في قاعة الطعام .

ـ هلم بنا اليهم ..

والقى باتل على الجثة نظرة أخيرة وقال وهو يمضي الى الباب :

ــ كانت غنية .. أليس كذلك ؟. من الذي يرثها ؟.

فصاح ليتش :

ــ هذا أول ما يجب الاستدلال عليه .. فلعله ان يقودنا إلى معرفة القاتل .

فنظر باتل إلى قائمة في يده وراح يقرأ الأسماء :

ــ مس ماري ايلدن ، مستر رويد ، مستر سترينج ، مسز سترينج ، مسز أودري سترينج . كثيرون يحملون اسم سترينج ..

ــ انهم ، على ما فهمت ، مستر نيفيل سترينج وزوجتاه .

كانت الأسرة مجتمعة حول مائدة الطعام ، فنظر المفتش باتل الى وجوه أفرادها لتقييمهم بطريقته الخاصة ، ولو قد عرفوا رأيه فيهم بعد هذه النظرة لتولتهم الدهشة ..

كان رأياً متحيزاً ، بصرف النظر عن المبدأ القانوني الذي يعتبر الناس أبرياء الى أن تثبت ادانتهم ..

كان باتل ينظر الى كل شخص في محيط الجريمة باعتباره قاتلاً . وقد انتقلت عيناه من ماري ايلدن الشاحبة الوجه التي تتصدر المائدة وكأنها تمثال من الحجر، الى تومـاس رويد الذي يحشو غليونه ، فالى أودري التي تراجعت بمقعدها إلى الوراء وباحدى يديها قدح قهوة وبيدها الأخرى لفافة تبغ فنيفيل الذي جلس مذهولاً وراح يحاول اشعال سيجارته بأصابع مرتجفـة ، فزوجته كاي التي اسندت مرفقيها الى المائدة . وبدأ شحوب وجهها وراء المساحيق والدهون ..

وقال المفتش باتل لنفسه :

ــ اذا كانت هذه هي ماري ايلدن فانها امرأة قوية الارادة لا يمكن ان

تؤخذ على غرة . أما ذلك الرجل المتجهم الذي يجلس بجوارها فانه يعاني من مركب نقص ربما بسبب اصابة ساقه بعاهة .. وأما المرأة فلا بد انها احدى الزوجتين . انها توشك ان تسقط هلعاً .. وهذا الرجل ، انه مستر ستريدج.. لقد رأيته في مكان ما قبل الآن.. انه متوتر الأعصاب فعلاً ويكاد أن ينهار .. أما ذات الشعر الأحمر .. فانها امرأة سريعة الانفعال والغضب .. ولكنها ذكية .

وفي هذه الاثناء ، كانت ماري ايلدن تقدم الضيوف الى المفتش ليتش ، وقالت في النهاية .

– ان ما حدث كان صدمة شديدة لنا جميعاً ، ومن تحصيل الحاصل ان أقول اننا على استعداد لتقديم كل معونة ممكنة .

فقال ليتش وهو يعرض مضرب الجولف :

– دعوني اسألكم اولاً .. هل يعرف أحدكم شيئاً عن هذا المضرب ؟.

فصاحت كاي في هلع :

– هذا مخيف !! هل هذا هو .

وأمسكت عن اتمام عبارتها ، بينما نهض نيفيل وقال وهو يدور حول المائدة :

– انه يبدو وكأنه احد مضاربي .. هل تسمح لي بأن اراه ؟.

فأجاب المفتش :

– لا مانع الان من ان تتناوله وتفحصه .

ولم تترك كلمة (الآن) اي اثر في نفوس الحاضرين .

وتناول نيفيل المضرب وفحصه وقال :

– يخيل الي انه احد مضاربي .. ولكني استطيع ان التحقق من ذلك بعد لحظة ..

ثم نظر الى ليتش وباتل وقال :

- تعاليا معي .

وتقدمهما الى دولاب كبير تحت درج السلم ، وفتحه ودهش باتل حين وجد الدولاب حافلاً بمضارب التنس .. وتذكر في ذات اللحظة ابن رأى نيفيل من قبل .

قال :

- لقد رأيتك تلعب التنس في (ويمبلدون) يا سيدي .

- آه .. أحقاً ؟.

وراح يخرج مضارب التنس ، الى إن تكشفت له حقيبتان في قاع الدولاب مليئتان بمضارب الجولف .

قال :

- لا يوجد هنا من يلعب الجولف سواي انا وزوجتي .. والمضرب الذي بيدك هو من النوع الذي يستخدمه الرجال . نعم . انه مضربي .

- شكراً لك يا مستر سترينج .. هذا يكفي .

فقال نيفيل :

- ما يدهشني .. هو ان شيئاً لم يفقد من البيت ، وانه لا يوجد مـا يدل على أن هناك من حاول الدخول عنوة .. أما الخدم فأنهم جميعاً فوق الشبهات

فقال ليتش :

- سوف أتحدث الى مس إيلدن بشأن الخدم .. أما الآن فانني أرجـو أن تذكر لي اسم محامي الليدي تريسيليان أن امكن .

- انه مستر تريلوني ومكتبه في سان لو .

- شكراً لـك يا مستر سترينـج .. سوف نستفسر من مستر تريلوني عن ثروة الليدي ..

- تعني انك تريد الاستفسار عن يرثها ؟.

- نعم . أريد معرفة وصيتها وما أشبه ذلك .

– اما الوصية فلا علم بها .. اما ثروة الليدي الشخصية فانها لا تكاد تذكر .. ولكني أستطيع أن أحدد لك مجموع الممتلكات ..

– نعم ؟.

– لقد اوصى زوجها السير ماتيو تريسيليان بكل ثروته وممتلكاته لها ، على ان تؤول بعد موتها اليّ أنا وزوجتي .

فهتف ليتش :

– أحقاً ..

ورمق نيفيل بنظرة جعلته ينكمش واستطرد قائلاً :

– هل تعرف مقدار الثروة يا مستر سترينج ؟.

– لا أستطيع أن اذكر القيمة بالتحديد .. ولكني اعتقد انها حوالي مائة الف جنيه .

– لكل منكما ؟. انت وزوجتك ؟.

– بل لنا معاً .

– مبلغ جسيم !.

فابتسم نيفيل وقال بسرعة :

– أنا شخصياً أمتلك ثروة طائلة .. ولا حاجة بي إلى أموال الآخرين .

وعادوا جميعاً إلى قاعة الطعام .. وهناك اتخـــذ المفتش ليتش الخطوة الثانية ، وهي الخاصة ببصمات الأصابع . فقال انها مسألة روتينية لاستبعاد ما يوجد منها فيمخدع الليدي .. وأبدى الجميع استعدادهم لإعطاء بصماتهم ، فذهب بهم ليتش إلى قاعة المكتبة حيث كان الضابط جونز في انتظارهم .

وشرع باتل وليتش بعد ذلك في استجواب الخدم فأوضح هرستال طريقته في غلق الأبواب وأقسم انه وجدها في الصباح كما تركها في المساء ، وقال أنه لم يوصد الباب الخارجي بالمزلاج لأن نيفيل كان قد ذهب إلى فندق ايسترهيـد وكان من المحتمل أن يعود في وقت متأخر .

فسأله ليتش :

ـ هل تعرف متى عاد ؟.

ـ نعم .. عاد حوالى الساعة الثانية والنصف صباحاً ، فقد سمعت صوت وقوف سيارة ، ثم فتح الباب ودخل مستر نيفيل ، وصعد السلم .

ـ ومتى غادر هذا البيت ليذهب إلى الفندق ؟.

ـ حوالى الساعة العاشرة وعشرين دقيقة .. لقد سمعت صوت غلق الباب الخارجي عقب انصرافه .

كانت هذه هي كل المعلومات التي استطاع ليتش أن يستقيها من هرستال، أما الخادمات والوصيفات فكن في حالة من الهلع جعلت من المستحيل الوقوف منهن على ما يفيد التحقيق ..

وعندما انصرفت آخر وصيفة ، نظر ليتش إلى عمـــه ليستطلع رأيه فقال هذا :

ـ ادع الخادمة الطويلة القامة ذات العينين الجاحظتين .. إذ يخيل إلي أنها تعرف شيئاً .

وجاءت الخادمة ، واسمها (أما ويلز) ، فقال لها باتل بلطف :

ـ دعيني أسدي لك نصيحة مفيدة يا مس ويلز.. من الخير لك ألا تكتمي شيئاً عن رجال البوليس لأن ذلك يجعلهم ينظرون اليك بعين الارتياب ..هل فهمت ما أعني ؟

ـ أؤكد لك أن ..

فأسكتها باتل بأن رفع يده وقال :

ـ انك رأيت أو سمعت شيئاً .. فما هو ؟.

ـ إن ما سمعته سمعه مستر هريستال أيضاً ولكني واثقة من انه لا صلة له بالجريمة .

ـ ربما .. ماذا سمعت إذن يا مس ويلز ؟

– كنت في طريقي إلى غرفتي بعد الساعة العاشرة ، ومررت بمخدع الليدي تريسيليان وسمعتها ومستر نيفيل يتحدثان بأصوات مرتفعة غـاضبة لا تدع مجالات للشك في انهما كانا يتشاجران .

– هل تذكرين شيئاً مما قيل ؟

– انني لم اكن انصت .

– مفهوم ، ولكن من المحقق انك سمعت بعض الكلمات

– كانت الليدي تقول انها لا تسمح بأن يحدث شيء معـــين في بيتها .. وكان مستر نيفيل يقول لها ان ذلك ليس من شأنها .

ولم يستطع باتل الوقوف من الخادمة على اكثر من ذلك، فأذن لها بالانصراف وقال ليتش :

– لا بد ان يكون جونز قد عرف شيئاً من البصمات .

- من الذي يقوم بتفتيش الغرف ؟

– الضابط ويليمز .

وفي هذه اللحظة ، اطل ويليمز برأسه من الباب وقال .

– يوجد بغرفة مستر سترينج شيء أريد منكما ان ترياه .

فتبعاه الى الجناح الذي يقيم به نيفيل ، ووجدا على ارض مخدع هذا الأخير كومة من الثياب تتألف من سروال أزرق وجاكيت من نفس اللون .

فسأل ليتش بحدة ·

– اين وجدت هذه الثياب ؟

– كانت ملقاة في قاع الدولاب .. انظر إلى هذا يا سيدي .

واشار إلى اكام الثوب واستطرد قائلاً :

- هل ترى هذه البقع الداكنة ؟ انها دماء تلوث الكم كله .

فتبادل باتل ليتش نظرة ذات معنى ، وقال الأول :

- هل ثمة شيء آخر ؟

– توجد كمية كبيرة من الماء على ارض الغرفة .

– تعني انه غسل آثار الدماء عن يديه بسرعة ؟. ولكن الماء قريب من النافذة ، وقد هطل المطر مدراراً ليلة أمس .

– ليس بالغزارة التي تصنع مثل هذه البركة .

فصمت باتل ..

كان يتخيل صورة رجل تلوثت يداه واكامه بالدم ،فخلع ثيابه ودسها في اعماق دولابه ، ثم راح يزيل بالماء آثار الدماء عن يديه .

ونظر باتل إلى باب في الجدار فقال ويليمز :

– هذا الباب يؤدي إلى غرفة مسز سترينج وهو مغلق .

– مغلق ؟ من هذا الجانب ؟.

– بل من الجانب الآخر .

ففكر باتل لحظة ثم قال :

– دعنا نرى كبير الخدم مرة اخرى

وجاء هرستال ، وكان متوتر الأعصاب ، ففاجأه باتل بقوله :

– لماذا لم تذكر لنا انك سمعت المشاجرة التي حدثت بين مستر سترينج والليدي تريسيليان ليلة امس يا هرستال ؟

– الواقع انني لم أعرها أية أهمية .. فانها لم تكن مشاجرة ، وإنما مجرد خلاف ودي في الرأي ..

– ماذا كان مستر سترينج يرتدي أثناء العشاء ليلة أمس ؟

ففكر هرستال قليلاً ثم قال :

– كان يرتدي ثوباً أزرق اللون

فهز باتل رأسه مراراً ، وانصرف هرستال ، وفي ذات اللحظة دخل جونز وهو بادي الانفعال

قال :

– لقد حصلت على بصماتهم جميعاً .. ولا يوجد بينها سوى بصمات شخص واحد تماثل تلك التي وجدت على يد المضرب ..

فسأله باتل :

– من هو ؟.

– إن البصمات التي وجدت على يد مضرب الجولف ، هي بصمات مستر نيفيل سترينج .

فاعتدل باتل في مقعده وقال :

– هذا يحسم الأمر .

– ٤ –

تنهد الماجور ميتشيل وقال :

– يبدو أنه لا مفر من استصدار امر بالقبض عليه .. ان الادلة اكثر من كافية ..

فقال ليتش :

– يخيل الي ذلك يا سيدي .

– إن الدافع إلى الجريمة واضح .. وهو حصول سترينج آخر شخص رآها على قيد الحياة .. وهناك شاهدان يقرران انهما سمعاه يتشاجر معهـــا .. ثم هناك ثيابه الملطخة بالدماء ، وبصمات أصابعه التي لا يوجد على يــــد المضرب بصمات سواها .

فقال ليتش :

– لقد كنت دائماً أحب مستر سترينج .. فهو جنتلمان ورياضي و كثيراً ما

التقيت به في هذه المنطقة .

فقال باتل :

- وهل ثمة ما يمنع الجنتلمان من أن يكون قـاتلاً ؟. على أن الشيء الذي يثير قلقي هو المضرب ..

فهتف ميتشل :

- المضرب ؟

- نعم يا سيدي .. المضرب .. أو الجرس .. او كلاهما .

- ماذا تعني ؟

- إذا كان مستر سترينج قد دخل المخدع وتشاجر مع الليدي وفقـد أعصابه وأهوى على رأسها بالمضرب ، فمعنى هذا ان الجريمة لم تكن متعمدة أو مدبرة .. وإذا كانت الجريمة غير مدبرة او متعمدة ، فلمـاذا حمل مضرب الجولف في تلك الساعة من الليل ؟. ذلك إذا افترضنا انه فقد اعصابه وهو ما استبعده ، فقد رأيته في ملاعب التنس فكان من أهدأ اللاعبين وأقدرهم على ضبط مشاعره .

أما إذا كانت الجريمة مدبرة بهدف الاستيلاء على ثروة العجوز فان ذلك يتفق مع فكرة تخدير الوصيفة حتى لا تلبي رنين الجرس ، ولكنه لا يتفق مع حدوث المشاجرة واستخدام المضرب ..

لو كانت الجريمة مدبرة لحرص على تجنب المشاجرة ، ولتسلل إلى المخـدع بينما الوصيفة مخدرة ، وهناك يقتل العجوز ويزيل آثار الدمـاء عن المضرب ويعيده إلى مكانه ، ويصطنع من الأدلة ما يوحي بأن الجريمة ارتكبت بهدف السرقة .

فقال ميتشيل :

- ان استدلالاتك لا تخلو من المنطق يا باتل ..

- الشيء الوحيد الذي يقلقني هو المضرب .. كيف كان يمكن لشخص

عن خمسمائة جنيه في العام ، وانها أوصت بهذا الإيراد لمس ماري ايلدن ، وتركت بعض النقود لكل من هرستال كبير الخدم ، وجين باريت وصيفتها .

فقال باتل :

ـ ها هم ثلاثة أشخاص يتعين علينا أن نراقبهم .

فابتسم ميتشيل وقال :

ـ انك ترتاب بكل انسان يا باتل .

ـ هناك جرائم قتل كثيرة ارتكبت طمعاً في الحصول على مبالغ لا تتجاوز الخمسين جنيهاً .. اليك مثلاً جين باريت .. انها تفيــد من وصية الليدي تريسيليان .. افلا يحتمل أن تكون قد تناولت المخدر عمداً لتبعد عنهـا الشبهات ؟.

ـ إنهـا كانت قاب قوسين او أدنى من الموت ، وقد منعنا الطبيب من استجوابها .

ـ لعلها اسرفت في تناول المخدر بدافع الجهل .. وما يقال عن جين باريت يصح ان يقال ايضاً عن ماري ايلدن وهرستال .

فقال ميتشيل :

ـ على كل حال أنا اترك الأمر لكما .. فامضيا في المهمة إلى نهايتها .

ـ ٥ ـ

غادر المفتشان باتل وليتش مكتب ميتشيل ، وعادا تواً إلى القصر حيث وجدا الضابطين ويليمز وجونز في انتظارهما ، وقال الأول أنــه قام بتفتيش غرف الخدم ولم يجد بها ما يثير الشك ، وانه أرسل ثوب نيفيـل ستريدج إلى

المعمل لتحليل بقع الدم ومعرفة فصيلتها . وقال جونز انه احتجز ضيوف القصر في قاعة الطعام ولم يسمح لهم بمغادرتها ، وحينئذ التفت باتـل إلى ليتش وقال له :

– عليك الآن باستجوابهم ، إفصل ذلك بحزم ، وابـدأ بنيفيل سترينج ..

وانتقل المفتشان إلى قاعة المكتبة وجلسا أمام إحدى الموائد بينما اتخـذ أحد رجال الشرطة مكانة في احد الاركان واستعد لتسجيل كل ما يقال في التحقيق ..

وجاء نيفيل ، وكان شاحب اللون متوتر الأعصاب فقال له ليتش :

– سـألقي عليك بعض الاسئلة عن تحركاتك ليلة أمس يا مستر سترينج .. وأود ان ألفت نظرك الى انك لست مرغماً على الاجابة على هذه الاسئلة وان من حقك ان تستعين بمحاميك اذا شئت

فأجاب نيفيل ببساطة :

- سل ما شئت ...

– كذلك يجب ان احذرك بان ما ستقوله سيسجل عليك وسيكون دليلاً أمام المحكمة .

فلمعت عينا نيفيل بغضب وصاح :

– هل تهددني ؟

– كلا يا مستر سترينج .. انني أحذرك .

فهز نيفيل رأسه وقال :

– اظن ان هذه كلها اجراءات روتينية . سل ما شئت .

– أخبرني ماذا فعلت ليلة أمس .. منذ ان تناولت طعام العشاء .

– بعد العشاء ، انتقلنا الى قاعة الاستقبال حيث تناولنا القهوة واستمعنـا الى الاذاعة ، ثم قررت الذهاب الى فندق ايسترهيد لمقابلة احدأصدقائي .

– ما اسم هذا الصديق ؟.

– لاتيمر . ادوارد لاتيمر .

– هل هو أحد اصدقائك المقربين ؟.

– انه صديق فحسب .. وقد زارنا هنا وتناول الطعام معنا .

فقال باتل :

– الم يكن الوقت متأخراً للذهاب الى فندق ايسترهيد ؟.

– ان الفندق مفتوح طوال الليل .

– ولكن القوم في هذا القصر يأوون الى الفراش في وقت مبكر .. أليس كذلك ؟.

– نعم . ولذلك أخذت مفتاح الباب الخارجي حتى لا يضطر أحد الخدم للسهر وانتظار عودتي .

– ألم تفكر زوجتك في مرافقتك ؟.

– كلا .. كانت تشعر بصداع ، فذهبت الى غرفتها بعد العشاء .

– تكلم يا مستر سترينج .

– وعندما هممت بمغادرة البيت ، جاءت جين باريت وصيفة الليدي وقالت لي ان الليدي تريد التحدث الي ، فذهبت الى مخدعها .

– اعتقد أنك آخر من رأى الليدي على قيد الحياة يا مستر سترينج .

– اظن ذلك . وكانت عندما رأيتها في احسن حال .

– كم من الوقت قضيت معها ؟.

– نحو عشرين دقيقة او نصف ساعة ..

– ومتى غادرت البيت ؟.

– حوالي الساعة العاشرة والنصف ، ولحقت بقارب العبور ، وذهبت الى فندق ايسترهيد حيث وجدت لاتيمر بعد ان بحثت عنه بعض الوقت ، فتناولنا بعض الشراب ولعبنا البلياردو ومر الوقت بسرعة ، فلم استطع اللحاق بالقارب

الذي ينتهي عمله عادة في الساعة الواحدة والنصف صباحاً . فعرض علي لاتيمر مشكوراً ان ينقلني بسيارته ... فيدور بي حول (سولتنجتون) أي مسافة ستة عشر ميلاً تقريباً ، وقد غادرنا الفندق في الساعة الثانية ووصلنا الى هنا حوالي الساعة الثانية والنصف ، فقصدت الى غرفتي مباشرة ولم أر او أسمع ما يريب .. كان الجميع نياماً .. وفي الصباح ، سمعت الخادمة تصرخ ..

ــ ماذا كان موضوع حديثك مع الليدي تريسليان ؟.

ــ تحدثنا في أمور كثيرة .

ــ هل كان الحديث ودياً ؟.

ــ طبعاً .

ــ ألم يقم بينكما شجار عنيف ؟. من الأفضل ان تقول الصدق .. فان بوسعي ان أذكر العبارات التي سمعت من حديثكما .

ــ قام بيننا خلاف في الرأي .

ــ ما سبب الخلاف ؟.

ــ الواقع انها شديدة التزمت وتحب دائماً ان تفرض ارادتها على الآخرين .. لقد اختلفنا في الرأي واحتدمت المناقشة بيننا ولكننا افترقنا صديقين .. واتفقنا على ألا نتفق .

ــ انك اعترفت صباح اليوم بان المضرب الذي استخدم في الجريمة هو مضربك . فبماذا تفسر بصماتك عليه ؟.

ــ انه مضربي . وطبيعي ان توجد عليه بصمات أصابعي .

ــ ان وجود بصماتك عليه يدل على انك آخر شخص امسك به .

ــ قد يكون هناك من استخدم القفاز في الامساك به .

ــ لو صح ذلك لمحا القفاز آثار بصماتك .

ــ لا أعلم .. الحق انني لا أعلم .

– هل لديك ما تفسر به وجود آثار دماء على أكمام ثوبك ؟
– آثار دماء هذا مستحيل ..
– ألم يحدث مثلا ان جرحت يدك؟.
– كلا .. ان كل هذا جنون !. انني لا أكاد أفهم شيئاً.
فقال باتل :
– ان الحقائق واضحة بمافيه الكفاية .
– ولكن لماذا اقدم على ارتكاب جريمة كهذه ؟
– انني اعرف الليدي تريسليان منذ نعومة أظافري .
– لقد ذكرت بنفسك أنك سترث بعد موتها ثروة طائلة .
– ولكني لست بحاجة الى النقود ، وفي استطاعتي ان أثبت ذلك .. دعني اتصل بمدير البنك الذي أتعامل معه .. تحدث اليه بنفسك ..
فوافق باتـل ، وتم الاتصال التليفوني وتحدث ليتش الى مدير البنك ، ثم وضع السماعة .
فسأله نيفيل بلهفة :
– ماذا قال ؟.
– قال ان لك رصيداً ضخماً .
– أرأيت انني لم أذكر سوى الحقيقة ؟.
فقال باتل بصوت رقيق :
– ان لدينا من الأدلة ما يبرر استصدار أمر باعتقالك يا مستر سترينج .. ولكننا لم نفعل ذلك لاننا نريد ان نهيء لك كل فرصة ممكنة لاثبات براءتك .
– هل معنى ذلك أنكم مقتنعون بانني مرتكب الجريمة ولا ينقصكم إلا معرفة الدافع اليها ؟.
فتبادل المفتشان نظرة ذات معنى ولزما الصمت .
فهتف نيفيل :
– يا إلهي .. كأنني في حلم مزعج !.

- ٦ -

عندما دخلت كاي قاعة المكتبة كانت تشعر بمزيج من الخوف والفضول . ولكن ليتش استدرجها بلطف الى الحديث عن الليلة السابقة فقالت انها شعرت بصداع فأوت الى فراشها ولم تستيقظ إلا صباحاً على صراخ الخادمة .

وهنا تدخل باتل في الحديث وسألها :

— ألم يذهب زوجك إلى غرفتك للاطمئنان عليك قبل أن يغادر البيت الى الفندق ؟.

— كلا .

— معنى ذلك انك لم تريه منذ العشاء حتى صباح اليوم .. أليس كذلك ؟.

— نعم .

-- مسز سترينج .. انني لاحظت أن البـــاب الموصل بين غرفتك وغرفة زوجك مغلق . فهل تعرفين من أغلقه ؟.

— أنا أغلقته .

فصمت باتل . وانتظر ..

انتظر طويلاً كما ينتظر القط خروج الفأر من جحره

و كان صمته الطويل خيراً من عشرات الأسئلة فقد قالت كاي فجأة .

— لعل من الأفضل أن اصارحكم بكل شيء .. فقد سمع هرستال حديثنا ومن المحقق انه سيفضي به اليكم اذا لم أفعل أنا ذلك .. لقد شجر خلاف شديد بيني وبين نيفيل ، فغضبت وقصدت الى غرفتي وأوصدت ذلك الباب .

-- وماذا كان سبب هذا الخلاف ؟

- هل يهمك ان تعرف ؟. حسناً .. لقد تصرف نيفيل تصرف انسان أحمق .. وكل ذلك بسبب تلك المرأة .

– أية امرأة ؟
– زوجته الأولى .. انها التي حملته على القدوم الى هنا .
– لكي تقابلك ؟.
– نعم .. لقد زعم نيفيل أن الفكرة فكرته . وهذا غير صحيح .. أن الفكرة نشأت عندما قابلها في لندن ..
– وماذا كان غرضها ؟.
– كانت تريد ان تسترده .. انها لم تغفر له قط انه تركها من أجلي فارادت ان تنتقم .. وهذا هو انتقامها .. انها لم تكف منذ وصولنا عن العمل على اغرائه واجتذابه اليها ، مستعينة في ذلك بصديقها القديم توماس رويد .. فراحت توهم نيفيل ان رويد يريد الاقتران بها .. وذلك لكي تثير غيرته وتبعث الحب في قلبه .

وكفت عن الكلام وهي تلهث من الانفعال والغضب فقال باتل :
– كنت أظنه سيسر حين يعلم انها ستجد السعادة مع صديق قديم لها .
– يسر ؟ انه يتلظى غيرة .
– إذن فهو مولع جداً بها .

فأجابت بمرارة :
– نعم .. وهي حريصة على ألا تخبو نار حبه لها .
– ألم يكن بوسعك أن تعارضي فكرة القدوم الى هنا اثناء وجودها ؟.
– لم أشأ ان أبدو كأنني أغار منها .
– ولكنك كنت تغارين منها . أليس كذلك ؟.
– نعم .. كنت دائماً أغار منها . منذ البداية .. كنت أشعر كأنها معي في البيت ، وكأنه بيتها وليس بيتي .. أعدت طلاء الجدران ، واستبدلت الأثاث .. ولكن دون جدوى .
– شكراً لك يا مسز سترينج .. كان لا بد لنا أن نلقي عليك كل هذه

الأسئلة خاصة وانك سترثين مع زوجك مائة الف جنيه .

فهتفت في دهشة :

ـ مائة الف جنيه ! وسأنال منها خمسين الفاً ؟

ـ هل كنت تعلمين ذلك ؟.

ـ كنت أعلم ان السير ماتيو أوصى بثروته لنيفيل وزوجته بعد وفـــاة الليدي ، ولكني لم أتوقع أن يكون الأرث بهذه الضخامة .

* * *

وبعد انصرافها ، نظر باتل الى ليتش وقال :

ـ ما رأيك ؟. انها فاتنة .. ولكنها ليست سيدة مهذبة .

* * *

واستدعيت ماري ايلدن فروت ما تعرفه عن أحداث الليـــلة الماضية ، وأيدت أقوال نيفيل وقررت انها آوت الى فراشها في الساعة العاشرة .

فسألها باتل :

ـ هل تعرفين من كان صاحب فكرة الجمع بين الزوجتين هنا ؟.

ـ انه نيفيل .. وقد قرر ذلك بنفسه .

ـ ألم تكن مسز أودري هي صاحبة الفكرة ؟.

ـ كلا .. بتاتاً ..

- ٧ -

كانت أودري ترتدي ثوباً باهت اللون أبرز شحوبها .. ولكنها كانت هادئة الأعصاب فلم تضطرب ولم تتلعثم ، واجابت على اسئلة باتل بأنها ذهبت الى فراشها في الساعة العاشرة ولم تسمع شيئاً خلال الليل .

فقال باتل :

– معذرة اذا اقحمت نفسي في شؤونك الخاصة .. ولكن هل تسمحين لي بأن اسألك كيف اتفق وجودك في هذا القصر ؟

– انني تعودت أن اقضي هنا هذا الشهر من السنة ، واتفق هذه المرة أن أبدى زوجي السابق رغبته في الحضور في نفس الشهر .. وسألني عما اذا كان لدي مانع .. فأجبته سلباً .

– هل الفكرة كانت فكرته ؟.

– نعم .

– ألم تكن فكرتك ؟.

– كلا ..

– ولكنك وافقت ؟.

– نعم .. لم يكن من اللائق أن ارفض .

– ألا تحقدين على زوجك السابق ؟.

– كلا .

– انك سيدة كريمة ، طيبة القلب .

فلم تجب ..

فصمت ، طويلاً على نحو ما فعل ما كاي ، ولكن أودري لم تكن كاي .. لم تكن ممن يغريهم صمت الاخرين بالكلام والثرثرة ، كان بوسعها أن تصمت طويلاً دون أن تبدو عليها بوادر القلق .

ولم يسع باتل إلا التسليم بالهزيمة .

- ٨ -

كان المفتش ليتش يهم باستدعاء توماس رويد لاستجوابه حين دق جرس التليفون فتناول السماعة .. وأصغى وهتف :

— أهذا أنت أيها الطبيب ؟. تقول انها استردت وعيها وتكلمت ؟.ماذا ؟

ثم التفت الى باتل وقال .

— تعال يا عماه ، تعال واسمع .

فتناول باتل السماعة وأنصت طويلاً ثم التفت الى ليتش وقال :

- أدع نيفيل سترينج .

وعندما دخل نيفيل ، كان باتل يضع السماعة .

وكان نيفيل ممتقع الوجه شارد البصر ، فقال باتل :

— هل تعرف شخصاً يمقتك بكل قوته يا مستر سترينج ؟ هل آذيت أحداً ؟ فكر جيداً .

ففكر نيفل طويلاً ثم قال :

— إذا كان هناك شخص اذيته فهو زوجتي الأولى ، لقد تركتها من أجل امرأة أخرى ، ولكني واثق من انها لا تمقتني ، انها ملاك .

- انك رجل سعيد الحظ يا مستر سترينج ، انك نجوت بمحض الصدفة .

— ماذا تعني ؟

— بعد أن غادرت أنت البيت ليلة امس ، دقت الليدي تريسيليان الجرس فذهبت اليها جين باريت ، ووجدتها على قيد الحياة ، وأكثر من ذلك أن جين باريت أبصرت بك وأنت تهبط السلم وتغادر القصر ، لقد أفاقت الوصيفة من غيبوبتها وتكلمت .

– والمضرب ؟، وبصمات الأصابع ؟

– انها لم تقتــل بالمضرب ، والدكتور لازنبي غير مرتاح الى المضرب كأداة الجريمة . ان الليدي قتلت بأداة أخرى وقد وضع المضرب لاثارة الشبهــات حولك .. وربما كان القاتل قد سمع مشاجرتك مع العجوز ووجــد الفرصة سانحة لتوريطك في الجريمة ، او ربما .

وصمت لحظة ثم سأل :

– من الذي يمقتك الى هذا الحد يا مستر سترينج ؟

– ٩ –

استقبل باتل وايتش قارب العبور الى إيسترهيد ووصلا إلى الفندق في الوقت الذي كان فيه إدوارد لاتيمر يهم بالخروج ، وما ان قدما نفسيهما اليــه حتى أبدي استعداده التام لمعاونتهما ، قال :

– نعم ، جاء نيفيل ليلة أمس ، وكان عابساً متجهمــاً ، وقال لي انــه تشاجر مع الليدي .

فقال باتل :

– لقد فهمت منه انه بحث عنك بعض الوقت .

– نعم ، ولا أعلم لماذا ، فقد كنت جالساً في الردهة ولكنــه قال انه لم يرني ، وربما أكون قد خرجت الى الحديقة لبضع دقائق .

– وماذا فعلتما بعد ان لعبتما البلياردو ؟

– تحدثنا قليلا ثم فطن نيفل الى انه تخلف عن موعد العودة بقارب العبور فنقلته بسيارتي ووصلنا الى القصر في نحو الساعة الثانية والنصف .

ـ وهل ظل مستر سترينج معك طوال المساء ؟..
ـ نعم .. وفي استطاعتك ان تسأل خدم هذا الفندق .
ـ شكراً لك يا مستر لاتيمر .
وعندما انصرفا ، قال لينش :
ـ ما غرضك من معرفة تحركات نيفيل وسترينج بعد أن ثبت براءته ؟.
فابتسم باتل وهتف لينش :
ـ آه .. فهمت ، انك تريد التحقيق من تحركات لاتيمر .
ـ أردت ان أعرف كيف قضي لاتيمر ليلة امس ، نحن نعلم انه كان مع سترينج من الساعة الحادية عشرة والربع حتى منتصف الليل ، ولكن اين كان قبل ذلك حين جاء سترينج ولم يجده ؟.
وواصلا تحرياتهما مع عامل البار والخدم وعمال المصعد .
وعلما ان لاتيمر قد شوهد في ردهة الفندق بين التاسعة والعاشرة ، وقالت لهما إحدى الوصيفات انها رأت لاتيمر في مكتبة الفندق مع سيدة بدينة تدعى مسز بيدروس ، وقررت هذه الأخيرة انه كان معها في المكتبة حقاً . ولكنها تعتقد أن ذلك كان حوالي الساعة الحادية عشرة ..

- ١٠ -

كان باتل يتفقد الغرف بنفسه حين توقف بغتة أمام باب مخدع أودري .
كان للباب مقبضان ، أحدهما - وهو الأيمن يعلوه الصدأ والآخر لامع براق ..
قال وهو يشير الى المقبض اللامع .
ـ أراهن ان هذا المقبض تمكن نزعه بمجرد إدارته إلى اليسار ..
فمد لينش يده .. وادر المقبض فانفصل من مكانه ..

قال باتل :

- إذا فحصت هذا المقبض جيداً ، فستجد فيه آثار دماء. لقد كان هذا المقبض هو أداة الجريمة ..

ثم أطل من نافذة الغرفة ، وأجال البصر في الحديقة تحت النافذة ولم يلبث أن قال :

- يوجد شيء أصفر اللون يتدلى من غصن هذه الشجرة . علي به ، فقد يكون له شأن باللغز الذي نعالج حله ..

- ١١ -

كان المفتش باتل يجتاز بهو القصر حين لحقت به ماري إيلدن وقالت له :

- هل استطيع التحدث اليك لحظة يا سيدي المفتش ؟.

- بلا شك يا مس إيلدن ؟.

وفتح باب قاعة الطعام ، ودخل .. فتبعته .. قالت له :

- أريد أن اقول لك شيئاً أرى انك ينبغي أن تعرفه ..

وحدثته عن زيارة مستر تريفز وعن قصة الجريمة التي رواها ، وظهرت دلائل الاهتمام على وجه باتل وسأل ·

- هل قال انه يستطيع التعرف على ذلك الطفل الذي أطلق السهم ؟ .

- نعم ، ويبدو أن الطفل كانت له علامة مميزة فقد قال مستر تريفز انه يستطيع أن يتعرف عليه في أي مكان .

ثم حدثته عن موت مستر تريفز الفاجع في تلك الليلة .

فهتف باتل :

- هذا شيء جديد بالنسبة الي .

– ماذا تعني ؟.

– أعني أن هذه أول جريمة ترتكب بمجرد وضع لوحة على باب مصعد .

فنظرت اليه في هلع وقالت :

– هل تظن حقاً انها ..

– انها جريمة قتل بارعة .. وسريعة .. كان يمكن طبعاً ألا تنجح ولكنها نجحت .

– هل قتل مستر تريفز لمجرد انه كان يعلم ؟.

– كان يعلم ، وكان بوسعه أن يرشدنا الى ذلك الشخص .. اننا الآن نسير في الظلام ، ولكني استطيع أن اقول لك يا مس إيلدن اننا أمام جريمة دبرت ببراعة منذ وقت طويل .

وبعد إنصراف ماري إيلدن ، قصد باتل الى قاعة المكتبة ودق بابها وسمع صوت نيفيل وهو يقول :

– ادخل ..

وكان بالغرفة رجل طويل القامة قال عنه نيفيل انه مستر تريلوني المحامي. فقال باتل معتذراً :

– يؤسفني أن ازعجكما ، ولكن ثمة مسألة أريد ان استوضحها .. انني أعلم يا مستر سترينج انك ترث نصف ثروة السير ماتيو .. ولكن من الذي يرث النصف الآخر ؟..

– زوجتي .

– أعلم ذلك .. ولكن أيهما ؟.

– آه . فهمت .. ان التي ترث نصف الآخر هي أودري . فهي التي كانت زوجتي عندما كتب السير ماتيو وصيته . اليس كذلك يا مستر تريلوني ؟.

فأومأ تريلوني برأسه موافقاً وقال :

ـ ان الوصية واضحة .. وتقضي بقسمة الثروة مناصفة بين نيفيل سترينج وأودري سترينج ، والطلاق الذي حدث لن يغير من الأمر شيئاً .

ـ هل أفهم من ذلك ان مستر اودري سترينج تعرف هذه الحقائق .

ـ طبعاً

ـ ومسز سترينج الحالية ؟.

فقال نيفيل :

ـ كاي ؟ أظن انها تعرف .. الواقع انني لم أحدثها كثيراً في هذا الموضوع.

فقال باتل :

ـ يخيل إلي انها أساءت فهم الموقف.. انها تعتقد أن الميراث سيوزع بينك وبين زوجتك الحالية .. أو ان هذا على الأقل ما فهمته منها صباح اليـوم . ولذلك جئت الآن للوقوف على الحقيقة .

فقال نيفيل :

ـ على كل حال ، أنا سعيد جداً من أجل أودري ، فقد كانت تعاني بعض الضيق ، ولكن أزمتها ستنتهي الآن .

ـ ولكني أظن انه كان من حقها أن تحصل منك على نفقة بعد الطلاق .

فقال نيفيـل :

ـ هناك شيء يا سيدي اسمه الكبرياء .. ولقد رفضت أودري بدافـــع الكبرياء أن تأخذ بنساً واحداً من النفقة الضخمة التي عرضتها عليها .

فقال ترياوني :

ـ نعم ، انه عرض عليها نفقة سخية ، ولكنها ردتها وأبت قبولها .

- ١٢-

تناول ما كوبرتر عشاءه في الفندق وخرج للنزعة ، وقادته قدمـــاه للمرة الثانية خلال ليلتين متتاليتين الى الربوة التي حاول منذ بضعـــة شهور أن يلقي بنفسه من فوقها .

وكان الجو صحواً والسماء صافية فأرسل بصره الى القصر الكبير الذي يطل على النهر من ناحية ، وعلى البحر من ناحية أخرى ..

ــ لا بد أنه قصر الليدي تريسيليان التي سمع نبأ مصرعها في الفندق وقرأه في الصحف .

وكان منسرفاً الى تأملاته .. حين رأى فجأة شبحــاً أبيض يندفع نحــوه بسرعة وكان آلاف الشياطين تطارده .

أدرك معنى هذا الاندفاع اليائس وانبعثت واقفاً ، ووثب في أثر الشبــح وأمسك به في ذات اللحظة التي اوشك فيها ان يهوي الى البحر .. وهتف وهو يحيط الشبح بساعديه :

ــ كلا ... كلا ..

وقاومه الشبح بقوة ، وفي صمت .. ولكن مقاومته لم تستمر طويلا . وما لبثت قواه أن خارت . ووجد ماكوتر بين يديه امرأة فاتنة نحيـــلة الجسم تبكي في صمت .

قال لها :

ــ لماذا تريدين أن توردي نفسك موارد التهلكة ؟ . هل انت تعيسة ؟.

فأجابت بصوت خافت لاهث :

ــ انني خائفة ..

– خائفة ؟ . ومم ؟..

– من الشنق .

– ولهذا تريدين أن ..

ولم يتم عبارته .. فقد رآها تغمض عينيها ، وأحس بجسدهـــا يرتجف بين ذراعيه .

وبسرعة وذكاء .. استطاع ان يضع النقط فوق الحروف. قال :

– انت من قصر الليدي ترسيليان ؟. السيدة التي قتلت ؟ لا بد انك مسز سترينج .. الزوجة الاولى .

فأومأت برأسها علامة الايجاب

فقال ببطء ، وهو يحاول الاستدلال على الحقائق من الشائعات التي سمعهـا ، والتفصيلات التي قرأها في الصحف .

– لقد حامت الشبهات حول زوجك . أليس كذلك ؟ ولكنهم وجدوا ان الادلة زائفة وانها اصطنعت عمداً لاتهامه .

وكف عن الكلام .. ولاحظ انها لم تعد ترتجف ، وانهـا تنظر اليه نظرة طفل وديع ..

قال :

– آه .. لقد فهمت .. انه تركك من أجل امرأة أخرى وكنت تحبينه .. ولذلك ..

فقالت بحدة :

– كلا .. ليس الامر كما تظن ..

فقال لها بحزم :

– عودي الى البيت . ولا تخشين شيئاً .. هل سمعت ؟ سوف أقف بجانبك الى النهاية .

- ١٣ -

كانت مـــاري ايلدن متعبة وتشعر بصداع فتمددت على أريكة في قــاعة الاستقبال .

لم يكن بالبيت احد سواهــا هي والخدم فقد ذهبت كاي وأودري بسيارة لاتيمر الى (سولتنجتون لشراء ثياب الحداد بينا خرج نيفيل وتومــاس رويد للنزهة .

وفيما هي تفكر في أحداث الأيام الأخيرة ، اذا بهرستال يقول لها :

— جاء رجل يطلب مقابلتك يا سيدتي ، وقد ذهبت به الى قاعة المكتبة .

— ما اسمه ؟.

— قال ان اسمه ماكويرتر .

— انني لا اعرف أحداً بهذا الاسم .. لا بد وانه احد مخبري الصحف ومــا كان ينبغي ان تسمح له بالدخول .

— انه صديق لمس أودري وليس مخبراً يا سيدتي .

— هذا امر آخر .

واصلحت من زينتها ، وقصدت الى قاعة المكتبة ، وادهشها ان ترى هناك رجلاً طويل القامة متجهم الوجه .. لا يمكن ان يكون صديقاً لأودري .

ولكنها مع ذلك قالت له بلطف :

— يؤسفني ان أقول لك أن مسز سترينج ليست هنـــا الآن . هل أردت مقابلتها ؟

فنظر اليها بامعان وقال ببطء .

— هل انت مس أيلدن ؟.

— نعم ..

– اذن لا شك انك تستطيعين مساعدتي . انني بحاجة الى حبل .

فقالت بدهشة :

– حبل ؟.

– نعم .. اين تضعون الحبال عادة ؟ .

– في غرفة الأشياء المهملة .

وقادته الى تلك الغرفة وفتحت بابها . وأجال ماكويرتر البصر في جوانب المكان ، واستقرت عيناه على لفة حبال كبيرة موضوعة فوق احدى الصناديق فتقدم منها وأمسك بالحبل . ثم التفت الى ماري ايلدن وقال :

– ارجو ان تتذكري ما سأقوله لك الآن يا مس ايلدن .. ان التراب يغطي كل شيء في هذه الغرفة فيما عدا هذا الحبل فهل لك ان تلمسيه بيدك ؟.

فامسكت بالحبل وقالت :

– انه مبتل .

– تماماً .

ودار على عقبيه لينصرف فقالت له :

– ألا تريد الحبل ؟.

– كلا . انما أردت فقط ان أعرف مكانه . وسوف أكون شاكراً اذا اغلقت باب هذه الغرفة . وقدمت المفتاح للمفتش باتل او المفتش ليتش .

– ولكني لا افهم شيئاً ..

– ليس من الضروري ان تفهمي .

وشد على يدها شاكراً ، وانصرف ، وتركها في حيرة شديدة .

وبعد بضع دقـائق ، عاد نيفيل وتومـــاس .. وتبعتهما أودري وكاي بعد قليل .

ولم يكد الجميع يفرغون من تناول طعام الغذاء وينتقلون الى قاعة الاستقبال حتى أعلن هرستال قدوم رجال البوليس .

ودخل المفتش باتل وهو متألق الوجه وقال معتذراً :

– يؤسفني ان أزعجكم مرة أخرى ، ولكن يوجد أمر أو اثنان أود معرفة المزيد عنها .. فمثلاً قفاز من هذا ؟.

وأخرج من جيبه قفازاً صغيراً من الجلد الأصفر وقال محدثاً أودري :

– هل هذا قفازك يا مسز سترينج ؟.

فهزت أودري رأسها وأجابت :

– كلا .. انه ليس قفازي .

– وأنت يا مس ايلدن ؟.

ليس لدي قفازات بهذا اللون .

فقالت كاي :

– دعني أراه .

وتناولت القفاز وفحصته وهزت رأسها سلباً .

فقال لها باتل :

– حاولي ان تجربيه .

فحاولت كاي ووجدته صغيراً . وكذلك حاولت ماري ايلدن ، بنفس النتيجة ، فتحول باتل الى اودري وقال :

– أظن انه قفازك .. ان يدك أصغر من أيديهما .

فوضعت أودري يدها في القفاز .. فلاءمها تماماً .

فقال نيفيل بحدة :

– لقد قالت لك أنه ليس قفازها ..

– لعلها فعلت ذلك عن سهو أو عن خطأ .

فقالت أودري :

– ربما كان قفازي .. ان القفازات تتشابه

فقال باتل :

— نحن على كل حال قد وجدناه بين أغصان شجرة تحت نافذتك ..

فوجم الجميع .. وفتحت أودري فمها ولكنها لم تنطق بكلمة وأخيراً صاح نيفيل :

— أصغ إلي أيها المفتش . ان .

ولكن باتل قاطعه في هدوء قائلاً :

— أريد أن أتحدث اليك على انفراد يا مستر سترينج .

— على رسلك .. هلم بنا إلى قاعة المكتبة .

وتبعه المفتشان الى قاعة المكتبة، وما أن أغلق باب القاعة حتى قال باتل:

— لقد وجدنا أشياء عجيبة في هذا البيت يا مستر سترينج .

— أشياء عجيبة !. ماذا تعني ؟.

فأومأ باتل الى ليتشن ، وغادر هذه الغرفة وعاد بعد قليل وبيده أداة غريبة . فتناولها باتل وقال :

— هذه الأداة تتألف من كرة من النحاس الثقيل هي في الواقع مقبض أحد الأبواب، وقد وضعت في تجويفها يد مضرب من مضارب التنس.. واستخدمت في قتل الليدي تريسيليان .

— هذا مخيف ! ولكن أين وجدت هذه الأداة ؟.

— ان الكرة النحاسية هي مقبض باب كما ذكرت، وقد قام القاتل بتنظيفها من الخارج بعد الجريمة .. ولكنه أهمل تنظيف تجويفها .. وقد وجدنا آثار دماء في التجويف .

كذلك أعاد القاتل يد مضرب التنس الى مكانها . وألصقها بالمضرب بواسطة شريط طبي لاصق ثم ألقى به في الدولاب تحت درج السلم مع عشرات من المضارب .

— يا لك من رجل بارع !. ألم تجد عليها بصمات أصابع ؟.

– ان المضرب خفيف الوزن مما يدل على انه مضرب مسز كاي سترينج ، وقد وجدنا عليه بصمات أصابعها وكذلك بصمات أصابعك .. ولكننا وجدنا أيضاً من الآثار ما يدل على أن شخصاً يلبس قفازاً قد أمسك به بعدكما .

كذلك وجدنا بصمات أخرى على الشريط الطبي اللاصق هي بغير شك بصمات الشخص الذي أعاد يد المضرب الى مكانها بعد الجريمة .. ولن أقول الآن بصمات من هي .. فان لدي ملاحظات أخرى أريد أن أبديها .

قال ذلك وصمت لحظة ثم استطرد قائلاً :

– انني أريدك على أن تعد نفسك لمفاجأة يا مستر سترينج .. ولكن دعني أسألك أولاً .. هل أنت واثق من أن مسز أودري ليست هي صاحبة فكرة اجتماعكم في هذا القصر ؟.

– انها فكرتي أنا .. وليست فكرة أودري ..

وفي هذه اللحظة فتح الباب ودخل توماس رويد .

قال :

– يؤسفني أن أزعجكم ولكني أريد أن أكون في الصورة .

فنظر اليه نيفيل بوجه عابس وقال :

– هذا اجتماع خاص أيها الصديق .

– ذلك لا يهمني .. لقد كنت ماراً بالباب وسمعت اسم أودري يتردد

– وما شأنك أنت بأودري ؟.

– بل ما شأنك أنت ؟. انني لم أصارح أودري بشيء .. ولكن في نيتي أن أطلب يدها .

وهنا سعل المفتش باتل وقال :

– لا أهمية لذلك يا مستر سترينج .. انني أريد أن ألقي عليك سؤالاً آخر .. لقد جاء في تقرير معمل التحاليل عن الثوب الذي كنت ترتديه في ليلة الجريمة انه وجدت على كتف الثوب وفي أحد اكمامه بعض شعرات شقراء فهل

تعرف كيف وصلت اليه ؟.

– لعلها من شعري .

– كلا .. انها شعرات طويلة .. من رأس سيدة ..

لا بد انها من رأس أودري .. لقد تذكرت الآن .. ان شعرها اشتبك ذات مساء بأحد الأزرار في كم ثوبي ..

– كانت هناك شعرات على كتف الثوب .. كذلك وجدت على ياقة الثوب آثار من مسحوق (براماڤيرا) .. وهو مسحوق غالي الثمن ذو رائحة زكية مما تستعمله السيدات في التجميل .. ان مسز كاي تستعمل مسحوقاً اسمه (قبلة الشمس) .. أما (براماڤيرا) فانه مسحوق مسز أودري .

– ماذا تريد أن تقول أيها المفتش ؟.

– أريد أن أقول أن مسز أودري ارتدت ذلك الثوب .. هذا هو التفسير الوحيد لوجود الشعرات البيضاء والمسحوق ولقد رأيت القفاز يلائم يدها .. كان ذلك قفاز اليد اليمنى .. أما قفاز اليد اليسرى .. فها هو .

وأخرج من جيبه قفازاً وضعه على المائدة فصاح نيفيل في ذعر :

– ما هذه البقع التي به ؟.

– انها آثار دماء يا مستر سترينج .. والقفاز هو قفاز اليد اليسرى .. ومسز أودري عسراء تستعمل يدها اليسرى .. لقد لاحظت ذلك حين رأيتها أول مرة أمام مائدة الطعام .. وكان وضع فراش الليدي تريسيليان وموضع اصابتها يدلان على أن القاتل شخص أعسر .. أما المقبض النحاسي فكان مقبض باب غرفة مسز أودري .. كل شيء واضح يا مستر سترينج .. وأصابع الاتهام تشير إلى شخص واحد .

– هل تريد أن تقول أن أودري دبرت كل هذه الخطة المحكمة بصبر وأناة ، وقتلت السيدة العجوز التي عرفتها كل هذه السنين لكي تحصل على نصيبها من الميراث ؟.

ـ انا لا أقول شيئاً يا مستر سترينج .. ولكنها الأدلة تتكلم ويجب ان تعلم ان هذه الجريمة انما دبرت أولاً وأخيراً الكيد لك ومن الواضح ان مسز أودري لم تكف منذ تركتها عن التفكير في وسيلة للانتقام منك . وربما خطر لها في وقت ما ان تقتلك ولكنها وجدت ان ذلك لا يكفي ففكرت في ان تدفع بك الى المشنقة . وحانت لها الفرصة حين تشاجرت انت مع الليدي ترسيليان ، فتسللت الى غرفتك وارتدت ثوبك وقتلت السيدة وتركت مضرب الجولف في مكان الجريمة للايقاع بك ، ولم ينقذك سوى ان الليدي دقت الجرس وان الوصيفة وجدتها على قيد الحياة عقب انصرافك .

فدفن نيفيل وجهه بين يديه وصاح :

ـ يا الهي !. انني لا اصدق .. ان تصورك للجريمة كله خطأ .. وأودري هي أنبل وأكرم امرأة رأيتها في حياتي .

فتنهد باتل وقال :

ـ ليس من شأني ان اناقشك يا مستر سترينج .. انما اردت فقط ان اعدك لتلقي الصدمة .. انني احمل أمراً بالقبض على مسز أودري سترينج .. ويحسن بك ان تعد محامياً للدفاع عنها .

ـ هذا غير معقول ..

فقال توماس رويد بهدوء .

ـ كفى صياحاً يا نيفيل .. الا ترى ان المعونة الوحيدة التي تستطيع ان تقدمه لاودري هي ان تتخلى عن اوهامك عن الشهامة الفرنسية والفروسية وتقول الحقيقة .

ـ الحقيقة ؟. اية حقيقة ؟

ـ الحقيقة عن اودري وأدريان ..

ثم نظر الى المفتش وقال :

ـ ان لديك فكرة خاطئة عن بعض الحقائق ايها المفتش ، ان نيفيل لم

يهجر اودري .. هي التي هجرته وهربت مع اخي ادريان .. ثم قتل ادريان في حادث سيارة ، وتصرف نيفيل بشهامة ، ووافق على ان تطلب اودري الطلاق باعتباره هو المخطيء والملوم .

فقال نيفيل بصوت خافت :

– لم أشأ ان يلطخ اسمها بالوحل . ولكني لم اكن اعلم ان هناك من يعرف هذه الحقائق .

فقال توماس :

– لقد حدثني ادريان بكل شيء في احد رسائله .. ومن هذا ترى يا سيدي المفتش أنه ليس ثمة ما يدعو اودري الى ان تحقد على نيفيل . بل على العكس .. انها يجب ان تشعر نحوه بالوفاء وعرفان الجميل ، ولقد عرض عليها مبلغ كبيراً كنفقة ولكنها رفضته . وكان من الطبيعي ازاء كل ذلك ألا ترفض رجاءه حين اقترح عليها ان تقابل كاي .

فقال نيفيل :

– أرأيت يا سيدي المفتش .. ان هذا يبطل الدافع الى الجريمة .. ان توماس على حق .

فقال باتل :

– الدوافع شيء .. والحقائق شيء آخر . جميع الحقائق تؤكد انها مذنبة.

فقال نيفيل :

– لقد كانت كل الحقائق منذ يومين تؤكد انني مذنب .

– بماذا تريد ان تقنعني بأن هناك شخصاً ينقم عليكما ، فلما فشلت التهمة التي لفقها لك ، حولها الى مسز أودري ؟. هل هناك شخص يمقتك انت وزوجتك السابقة .

فقلب نيفيل كفيه ولم يجب .

وقال باتل :

– لا جدوى من هذا الحوار يا مستر ستريننج .. يجب ان اؤدي واجبي .

وغادر الغرفة مع ليتش ، وتبعها نيفيل وتوماس الى قاعة الاستقبال .

ونهضت اودري حالما ابصرت بهم وتقدمت لمقابلتهم وقالت وهي تنظر في عيني باتل :

– انت تريدني .. أليس كذلك ؟.

– لدي أمر بالقاء القبض عليك يا مس اودري بتهمة قتل الليدي كاميللا ترسيليان في يوم ١٢ سبتمبر الماضي ، ويجب إن احذرك بأن كل ما تقولينه سيسجل عليك ويتخذ دليلاً ضدك في المحكمة .

فتنهدت اودري واشرق وجهها وقالت بارتياح :

– كم أنا مسرورة بأن كل شيء قد انتهى .

فصاح نيفيل :

– أودري .. لا تتكلمي .

– ولما لا يا نيفيل ؟. كل هذا صحيح .. وقد تعبت .

فنظر ليتش الى عمه . وأدهشه شرود ذهنه ، والذهول الذي ارتسم على وجهه . كان يحملق في وجه أودري وكأنه لا يصدق عينيه ..

* * *

وفي هذه اللحظة الحاسمة أطل هرستال من الباب وأعلن قدوم مستر ماكويرتر

ودخل ماكويرتر بقدم ثابتة واتجه مباشرة الى باتل وقال :
– هل انت مفتش الشرطة المنوط بقضية الليدي ترسيليان ؟.

– نعم .
– ان لدي أقوالاً هامة اريد الادلاء بها ، ويؤسفني انني لم أحضر قبل الآن ولكن الحادث الذي رأيته في ليلة الجريمة لم تتبين لي خطورته إلا اليوم . هل استطيع التحدث اليك على انفراد ؟.

وهنا اقترب ليتش من عمه وهمس في أذنه كلاماً .. واقتاد باتل ماكويرتر الى قاعة المكتبة وهناك قال له :

– يقول زميلي انه رآك قبل الآن .. في الشتاء الماضي .

– نعم .. انني حاولت الانتحار في شهر يناير الماضي بأن ألقيت بنفسي من فوق ربوة (ستار هيد) .. وخطر لي منذ أيام أن أزور البقعة التي اوشكت ان انهي فيها حياتي .. كان ذلك في يوم الاثنين الماضي .. وفيما كنت أنظر الى الأفق عبر خليج ايستر هيد ، رأيت شيئاً أعتقد ان له صلة بالجريمة .. واليك ما رأيت :

– ١٤ –

عندما عاد المفتش باتل الى قاعة الاستقبال ، لم يكن وجهه يعبر عن شيء . قال يحدث أودري :

– أرجو ان تأخذي معك بعض ما تحتاجين اليه من أمتعة .. وسيرافقك المفتش ليتش الى غرفتك .

فقالت ماري ايلدن :

ــ ساذهب معها .

وخرجت المرأتان مع ليتش ، وقال نيفيل يحدث باتل :

ــ ماذا قال لك هذا الرجل ؟.

ــ تعني ماكوبرتر ؟. انه روى لي قصة عجيبة .

ــ ألم يقل لك شيئاً يفيد اودري ؟. هل انت مصمم على اعتقالها ؟

ــ انني اؤدي واجبي يا مستر سترينج ..

ــ اذن يجب ان اتصل بالمحامي تريلوني .

ــ لا ضرورة للعجلة يا مستر سترينج .. سأقوم أولاً بتجربة معينة على ضوء القصة التي رواهـا ماكوبرتر . انني انتظر فقط حتى ترحل مس اودري .

وشوهدت أودري في هذه اللحظة وهي تهبط درج السلم مع المفتش ليتش كان وجهها هادئاً . لا أثر فيه للانفعال . فهتف نيفيل .

ــ أودري .

فرمقته بنظرة باهتة وقالت :

ــ انني بخير يا نيفيل . ولست أبالي شيئاً ..

ووقف توماس رويد بالباب كانما ليحول دون خروجها فنظرت اليه وابتسمت وغمغمت قائلة :

ــ توماس .. المخلص ..

فغمغم قائلاً :

ــ اذا كان هناك ما يمكن عمله ..

ــ لا احد يستطيع ان يفعل شيئاً ..

وخرجت مرفوعة الرأس الى حيث كانت سيارة البوليس في انتظارها ..

* * *

وبعد قليل قال المفتش باتل :

- قلت ان هناك تجربة يجب ان أقوم بها .. ان مساكويرتر ينتظرنا في زورق العبور .. فهلموا بنا جميعاً .. تعال معنا يا مس لاتيمر .

الفصل الخامس

ساعة الصفر

كان الهواء بارداً ، فضمت كاي معطفها حول جسدهـا ، وانطلق الزورق البخاري يشق عباب الماء حتى اقترب من الربوة التي حاول ماكويرتر الانتحار بالقاء نفسه من فوقها وهناك اوقف باتل الزورق وقـال بصوت من يتحدث الى جماعة من اصدقاءه :

ـ لقد كانت هذه القضية من اغرب القضايا التي مرت بي .. ولذلك اريد ان امهد لها بكلمة عن جرائم القتل بصفة عامة ..

انكم حين تقرأون عن جريمة ، سواء خيالية او واقعية ، تبدأون دائمـاً بالجريمة ذاتها . وهذا خطـأ .. لان الجريمة هي ذروة ظروف وعوامل مختلفة تتلاقى في وقت معين ، وفي مكان معين .. وابطالها هم اناس مختلفون . يأتون من شتى انحاء العالم .. لاسباب غير متوقعة .. فمسترتوماس رويد مثلاً جاء من الملايو .. ومستر ماكويرتر جاء لزيارة مكان حاول الانتحار فيه .. اما الجريمة ذاتها فـكانت نهاية القصة .. كانت ساعة الصفر .

وتريث قليلاً ثم قال :

ـ نحن الآن في ساعة الصفر .

فتحولت اليه عدة وجوه عليها علامة استفهام وقالت ماري ايلدن :

– هل تعني ان مصرع الليدي ترسيليان كان خاتمة ظروف مختلفة اجتمعت القضاء عليها ؟.

– كلا يا مس ايلدن .. ان مصرع الليدي تريسليان كان حـادثاً عرضياً في طريق القاتل الى هدفه الرئيسي .. والهدف الرئيسي للقاتل هو القضـاء على اودري ستريبنج .

وقد دبرت الجريمة منذ وقت طويل.. ولم يغفل القاتل ادق التفصيلات .. وكان الهدف ، ان تشنق اودري ستريبنج حتى تموت .

وبدأ المجرم خطته باصطناع طائفة من الأدلة لادانة نيفيل ستريبنج ، ووضع في حسابه اننا متى أمطنا اللثام عن زيف هذه الأدلة ، فاننا لن نتوقع ان يتكرر نفس الشيء فيما يقدم الينـا من أدلة ضد أودري ستريبنج .. والواقع ان جميع الأدلة التي ظهرت ضد اودري هي مما يمكن اصطنـاعه . فمن السهل جداً انتزاع مقبض بابها وسرقة قفازها ومساحيقها .. وكان طبيعياً ان توجد بصمات أصابعها على الشريط الطبي اللاصق الذي تستعمله .

ثم جاء الدليل الدامغ الأخير ، وهو اعتراف اودري نفسها .. وانا لم أكن لأصدق بعد اعترافها انها بريئة .. لولا ان لي تجربة شخصية في هذا المجال .. وعندما رأيتها وسمعتهـا تذكرت على الفور فتـاة اخرى فعلت نفس الشيء واعترفت بجريمة لم ترتكبهـا لقد خيل الي في تلك اللحظة ان اودري ستريبنج تنظر الي بعيني تلك الفتاة .

على انني اديت واجبي كشرطي وقبضت عليها .. قبضت عليها وأنا ابتهل الى الله في سري ان يرسل معجزة تنقذ هذه السيدة المسكينة .

وجاء مستر ماكويرتر فكان هو المعجزة المنشودة ..

ونظر الى ماكويرتر وقال :

– ارجو ان تعيد رواية القصة التي رويتها لي في القصر ..

وتكلم ماكويرتر بايجاز وذكر حادث محاولته الانتحار وكيف جـاء لزيارة

المكان الذي كاد ان يشهد مصرعه .. ثم قال :

– وفي ليلة الاثنين الماضي ، كنت أقف فوق الربوة ، وكانت الساعة الحادية عشرة تقريباً ، فحانت مني التفاتة الى قصر الليدي ترسيليسان ، ورأيت حبلاً متدلياً من احدى النوافذ ، ورجلاً يتسلق الجدار مستعيناً بهذا الحبل .

فقال باتل :

– ان الجدار الذي تسلقه الرجل يطل على النهر .. ولم تكن هناك قوارب .. ومعنى هذا ان الرجل لا بد ان يكون قد عبر النهر سباحة .

ونحن نعلم ان شخصاً كان على الضفة الأخرى للنهر في تلك الليلة .. شخصاً لم يره أحد فيما بين الساعة العاشرة والنصف والساعة الحادية عشرة والربع .. وربما كان لهذا الشخص صديق في القصر ادلى اليه الحبل .. اظن ان ذلك واضح ومفهوم يا مستر لاتيمر .

فصاح لاتيمر :

– ولكني لا اعرف السباحة .. الجميع هنا يعلمون ذلك .

فصرخت كاي في هلع :

– أحقاً ؟.

– ومشى باتل ببطء حيث كان لاتيمر يقف عند حافة الزورق ، وبحركة فجائية .. قذف به الى الماء ..

– يا الهي ! . انه حقاً لا يعرف السباحة ..

وأتى نيفيل بحركة كأنما ليقذف بنفسه الى الماء لينقذ لاتيمر .. ولكن باتل أمسك بساعده بقوة وقال في هدوء :

– لا ضرورة لذلك يا مستر سترينج .. ان رجالي سينقذونه ..

واطل الى الماء واستطرد قائلاً بعد لحظة :

– نعم .. انه لا يعرف السباحة .. وسوف اعتذر اليه .. والواقع انه لا توجد وسيلة لاختبار قدرة الشخص على السباحة افضل من القائه في الماء .

هذا عن مستر لاتيمر .. اما مستر توماس رويد فـــانه بطبيعة الحال لا يستطيع ان يتسلق الحبل والسباحة أصابة ساقه ..

وهكذا لا يبقى الآن امامنـــا سواك يا مستر سترينج .. انك رجل تجيد لعب التنس والجولف والسباحة وتسلق الجبال .

صحيح انك استقليت زورق العبور في الساعة العـــاشرة والنصف ، ولكن لا احد رآك في فندق (ايسترهيد) قبل الساعة الحادية عشرة والربع .

فضحك نيفيل وقال :

– هل تعتقد انني عبرت النهر سباحة وتسلقت الجدار مستعيناً بالحبل ...

– مستعيناً بالحبل الذي ادليته بنفسك من نافذة غرفتك ..

– ثم قتلت الليدي ترسليان وعبرت النهر مرة أخرى ؟ ولماذا افعل ذلك بحق السمـــاء ؟. ومن الذي اصطنع كل هذه الأدلة ضدي ؟. هل تزعم انني اصطنعتها بنفسي ؟.

– تماماً .. وهي فكرة رائعة .

– وماذا يدعوني الى قتل الليدي ترسيليان ؟.

– لا شيء . ولكنك كنت تريد شنق المرأة التي هجرتك الى احضان رجل آخر .. انك مختل الشعور منذ كنت طفلاً . لقد فحصت بنفسي ملف قضية القوس والسهم . وعرفت حقائق كثيرة .. منها انك لا تطيق الاهـانة او الايذاء . وان عقوبة الاهانة والايذاء عندك هي الموت . ولكن الموت وحده لم يكن كافياً لأودري .. اودري التي أحببتها قبل ان يتحول حبك الى كراهية .. ولذلك فكرت في ان تهيء لهـا ميتة خاصة .. ولم يهمك في سبيل تنفيذ هذه الفكرة ان تقتل المرأة التي كانت لك بمثابة الأم .

فقال نيفيل في هدوء :

– كذب .. كل هذا كذب .. انني لست مجنوناً .

– انهـــا طعنت كبريائك في الصميم حين هجرتك من أجل رجل آخر ..

ولكنك حاولت ان تنقذ ما يمكن انقاذه من كبريائك فزعمت امام النـــاس انك انت الذي هجرتها ، واقترنت بامرأة أخرى ، وبدأت تخطط للقضاء عليها ولم تجد لها عقاباً أسوأ من الشنق ..

وكانت خطة رائعة .. ولكنك لم تحسن تنفيذها كما ينبغي . ولا بد ان اودري احست منذ البداية بما تضمر لها . وانها كانت تضحك في سرهـــا من سذاجتك . .

فصاح نيفيل :

- انني لست ساذجاً . انت نفسك قلت انها كانت خطة بارعة . ولكن من كان يتوقع ان يراني ذلك الوغد الاسكتلندي . او ان يكون توماس رويد على علم بحقيقة ما حدث بين اودري وادريان .. اودري لعنهـا الله .. يجب ان تشنق .. اشنقوها .. انني امقتها واريدها ان تموت .

ودفن وجهه بين كفيه .. وراح يبكي كالأطفال .

- تمت -